

أنا سورة الكهف

فتعلموا مني العبر

إعداد: رانية صايمة





إعداد: رانية صايمة

فيِ رحابِ السورَةِ الكريمَة

بسمِ الإلهِ أبتَدِي كلامِي، ولرسولِهِ ﷺ أزكَى صلاتِي وسَلامِي، وعن آياتِ كتابهِ وسُوَرِهِ يحلُو حديثي وأُعمِلُ فيه عقلِي وفَهمي، فذاكَ مُرادُ ربِّي منِّي تَدبُّرُ منهَجه وجعلِه شعاراً في حياتِي وسورةُ الكهفِ عُنواني، فخذوا عنِّي وتعلَّموا منِّي..

في ترتيلِهَا نورٌ ورحمَةٌ مِن الجمُعة إلى الجمُعة، وإنارَةٌ لدروبِ الحياةِ المُظلِمَة، وسراجٌ يومَ الغمَّة وأمَانٌ يومَ الفزَعِ والشِدَّة، من خلالِ بيانِهَا لحقيقةِ الدنيَا وأهوَالِ وأحداثِ الحياةِ الآخِرَة، كما بشَّرَنَا نبيُّ الأمَّة:

« مَن قرَأ سورَةَ الكهفِ في يومِ الجمُعة، أضاءَ لهُ مِنَ النورِ مَا بينَ الجُمُعَتَين » [النسائي].

في ذكرِهَا وتدبُّرِهَا تتنزَّلُ السكينَةُ، وتتجلَّى الرحمَاتُ وتحفُّ الملائِكَةُ، لما فيها من الخصَائِص والفضَائِلِ والبَرَكَة.. عن البراء بن عازب قال: قرأ رجل سورة الكهف، وفي الدار دابَّةٌ، فجعلَتْ تنفرُ، فإذا ضَبابَةٌ أو سحَابَةٌ قد غَشِيَتْهُ، فذكَرَ ذلك للنبيِّ ﷺ فقالَ:

« اقرَأ فلانٌ، فإنَّهَا السكينَةُ تنزَّلَتْ عندَ القُرآنِ، أو تنزَّلَتْ للقُرآنِ » [مسلم].

في حفظِ أوائِلِهَا أو أوَاخِرِهَا على تعدُّدِ الروَايَة، عِصمَةٌ مِن الدجَّالِ وتسلُّحٌ بالعلمِ الواقِي من الانخداعِ بحقيقَته..

وفي حديثِ المُصطَفَى عليهِ صلَوَاتُ ربِّي وسَلامُه: « وإنَّ من فِتنَتِه أنَّ معَهُ جنَّة ونَاراً، فنارُهُ جنَّةٌ وجنَّتُه نار، فمَنِ ابتُلِيَ بنَارِه فليقرَأ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الكهفِ، وليَستَعِذْ باللهِ عزَّ وجلَّ، تكونُ عليهِ بَرداً وسَلاماً » [ابن ماجه].

في التفكُّرِ في معَانيهَا ومَقاصِدِها زيادةٌ في العِلمِ وحِرصٌ على نيلِهِ واكتسَابِهِ، والرحلةُ والصبرُ على تحصيلِهِ واكتسابِهِ، وجعلِه درباً إلى مرضاةِ الله والفوزِ بجنَّتِه، كما دعا نبيُّ الإسلامِ إلى التعلُّمِ وحثَّ عليه:

« مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً؛ فَكَانَتْ مِنهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وكَانَ مِنهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ الله بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنها وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وأَصَابَ طَائِفَةً مِنها أخرى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ؛ لا تُمْسِكُ مَاءً ولا تُنْبِتُ كلأً، فَذلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دِينِ الله، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأساً، ولم يَقْبَلْ هُدَى الله الذي أُرْسِلْتُ بِهِ » [متفق عليه].

ولها من الفضيلة والمثوبة ذكر في العديد من الأحاديث المشهورة.. قال ﷺ:

« ألا أُخبرُكم بسورةٍ مَلأَ عظمَتُها ما بينَ السماءِ والأرضِ، ولكَاتِبِها منَ الأجرِ مثلَ ذلك، ومَن قرأهَا يومَ الجُمعةِ غُفِرَ لهُ ما بينَهُ وبينَ الجُمُعةِ الأخرَى وزيادَة ثلاثةِ أيام، ومَن قرأَ العشرَ الأَواخِرَ منها عندَ نَومِهِ بعثَهُ الله أيَّ الليلِ شاءَ؟ » قالوا: بلَى يا رسول الله، قالَ: « سُورَةُ أصحَابِ الكَهفِ » [ابن مردويه عن عائشة].

جاء الإخبار عنها في التوراة: « سورةُ الكَهفِ تُدعَى في التوراةِ؛ الحَائِلَة تحولُ بينَ قَارِئِهَا وبينَ النَّارِ » [البيهقي عن ابن عباس].

وهي من السور التي نزلت جملة واحدة.. « نزلَتْ سورَةُ الكَهفِ جُملَةً معهَا سبعونَ ألفاً مِنَ المَلائِكَة » [الديلمي عن أنس].

وهي حرزٌ من الشيطانِ وأَمَانٌ في الدنيا والآخِرَة: « البيتُ الذي تُقرَأُ فيهِ سُورَةُ الكهفِ لا يَدخُلُهُ شيطانٌ تلكَ الليلة » [الطبراني عن عبد الله بن المغفل].

وعنهَا قالَ المُصطَفَى عليهِ أفضلُ الصَّلاة وأتمُّ التَّسليم:

« لو لَمْ تنزِلْ علَى أُمَّتِي إلا خَاتِمَةُ سُورَةِ الكَهفِ؛ لَكَفَتْهُم » [أبو نعيم عن أبي حكيم].



سورة الكهف

اسمي سورةُ الكهف.

عدد آياتي (110).

سبب تسميتي سُمِّيتُ باسم قصَّةٍ فيها عبرة وعِظَة ومعجِزة، لألفِتَ انتباهَكُم إلى أهميَّتها وتستَلهِمُوا الحِكَم والفوائدَ منها...

وقد سمَّاني حبيبي رسول الله ﷺ: « سورةُ أصحابِ الكهف ».

فضلي

أنا النورُ مِنَ الجمُعَةِ إلى الجُمُعَة والسِّراجُ من الظلمَة، وأنا النجاةُ والعِصمَة من الفِتنَةِ في الدنيَا والآخِرَة، وفي بَرَكَةِ حفظي وتِلاوَتي قال نبيُّ الأمَّة:

« مَن حَفِظَ عشرَ آياتٍ من أوَّلِ سورةِ الكهْفِ عُصِمَ من الدجَّالِ » [مسلم].

وفي رواية: العشرُ الأواخِرُ.

« مَن قرَأَ الكَهْفَ في يومِ الجمُعَةِ؛ أضاءَ له مِنَ النورِ مَا بينَ الجُمُعَتَين » [الحاكم].

نزولي



نزلْتُ في مكَّةَ المكرمة، في بدايةِ البعثةِ النبويَّةِ، تضمَّنْتُ إشَارَاتٍ لِمن أُوذِيَ وعُذِّبَ مِن المسلمين بسَبَبِ لحَاقِهم بركَبِ الدعوةِ، بأنَّ الله جاعلٌ فَرَجَاً ومَخرَجاً من كلِّ ضَائِقَةٍ وشِدَّة، وكانَت بعدي الهجرةُ الأولَى إلى الحبَشَة.

وكانَتْ فِيَّ إجاباتٌ على تحدِّيَاتِ قريش بصدقِ وصحَّةِ النبوَّة، كما وردَتْ بذلك الآثارُ الصحيحةُ:

ذُكِرَ أنَّ قريشاً بعثوا النضرَ بن الحارث وعقبةَ بنَ أبي معيط – من صناديدِ قريشٍ ورؤوسِ الكفر فيها- إلى أحبارِ يهُود وقالوا لهما: سَلاهُم عن محمَّد، وَصِفَا لهُم صِفَتَهُ وأخبراهُم بقوله، فإنَّهُم أهلُ الكتاب الأوَّل وعندَهم علمٌ ليس عندنا من علمِ الأنبياءِ، فخَرَجَا حتى قَدِمَا المدينة، فسألا أحبارَ يهود عن رسول الله ﷺ ووَصَفَا لهُم أمرَهُ، وأخبراهُم ببعضِ قولِهِ، وقالا لهم: إنَّكم أهلُ التوراةِ وقد جِئنَاكم لتُخبِرُونَا عن صَاحِبِنا هذا. فقالَتْ لهما أحبارُ يهودِ: سَلُوهُ عن ثلاثٍ نأمركم بهنَّ، فإن أخبَرَكُم بهنَّ فهو نبيٌّ مُرسَل، وإن لم يفعَل فالرجل مُتقوِّل، فروا فيه رأيَكم، سَلُوهُ عن فتيةٍ ذهبوا في الدهرِ الأول، ما كانَ أمرُهُم، فإنه قد كانَ لهم حديثٌ عَجَبٌ، وسَلوهُ عن رجلٍ طوَّافٍ قد بلغَ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، ما كان نَبَؤُه، وسَلُوهُ عن الروحِ ما هيَ، فإذا أخبرَكُم بذلك فاتبِعُوهُ فإنَّهُ نبيٌّ، وإن لم يفعلْ فهو رجلٌ مُتقوِّل فاصنعوا في أمره مَا بَدَا لكم، فأقبلَ النضرُ بن الحارث وعقبة بن أبي مَعيط وَقَدِمَا مكةَ على قريش فقالا: يا معشرَ قريشٍ قد جئنَاكُم بفَصْلِ مَا بينكم وبينَ محمَّد ﷺ قد أمرَنَا أحبارُ يهودٍ أن نسألَهُ عن أشياءَ أمرونَا بها، فإن أخبرَكُم عنها فهو نبيٌّ، وإن لم يفعَل فالرجلُ مُتقوِّل، فروا فيه رأيَكُم.



فجاؤوا رسولَ اللهِ ﷺ فقالوا: يا محمَّد، أخبِرنَا عن فتيةٍ ذهبوا في الدهرِ الأولِ، قد كانَتْ لهم قصَّةٌ عجَبٌ، وعن رجلٍ كان طوَّافاً قد بلغَ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، وأخبِرنَا عن الروحِ ما هيَ؟ قالَ: فقالَ لهُم رسولُ اللهِ ﷺ: « أُخبِرُكم بما سألتُم عنه غداً » ولَم يستثْنِ– لم يقلْ: إن شاءَ اللهُ تعالى–، فانصَرَفُوا عنه، فمَكَثَ رسولُ اللهِ ﷺ فيمَا يزعُمُونَ خمسَ عشرةَ ليلَة، لا يُحدِّثُ اللهُ إليه في ذلك وحياً ولا يأتيه جبريلُ، حتى أرجفَ أهلُ مكَّة – بدؤوا ينشُرون الإشاعاتِ والأقاويلَ والافتراءاتِ– وقالوا: وَعَدَنَا محمَّد غداً، واليومَ خمسَ عشرةَ ليلَة، وقد أصبَحْنَا منهَا لا يُخبِرُنَا بشَيءٍ ممَّا سألنَاهُ عنهُ، حتَّى أحزَنَ رسولَ اللهِ ﷺ مكثُ الوحي عنه، وشقَّ عليه ما يتكلَّمُ به أهلُ مكَّة، ثم جاءَهُ جبريلُ عليه السلام من عند اللهِ عزَّ وجلَّ بسورةِ أصحابِ الكهفِ، فيها مُعاتَبَتُهُ إيَّاهُ على حُزنِهِ عليهم، وخبرُ ما سألوهُ عنه من أمرِ الفِتيَةِ، والرجلِ الطوَّافِ والروحِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾

المقطع الأول

كلماتي



﴿ عِوَجَا ﴾: مُستقيماً لا اختلافَ في معانيهِ ومدلولاته ومقاصِدِه.

﴿ قَيِّمًا ﴾: قائِمَاً بمهمَّةِ الهدايةِ والإرشادِ لما فيه خيرُ وصلاحُ العباد.

﴿ مَّٰكِثِينَ ﴾: خالدين مُستقرينَ في النعيم أو في الجحيم.

﴿ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾: مُهلِكُهَا ومُرهِقُها من شدَّة الأسى والحُزنِ والتأسُّفِ على أحوالِهِم لحرصِكَ على إيمانِهِم.

﴿ صَعِيدًا جُرُزًا ﴾: أرضٌ يابسةٌ لا نباتَ فيها ولا أثر، تحوَّلَت بعد زينَتِهَا وزُخرُفِهَا إلى خرابٍ ودمَارٍ.

معلوماتي

أعلمكم أنَّ ربَّكُم يدعوكم إلى:

حمدِهِ والثناءِ عليه، والرضَا بقَضَائِهِ والشكرِ على نَعمَائِهِ والصبرِ على بلائِه..

فالحمدُ للمستحقِّ للحمدِ كما ينبغي لجلالِ وجههِ ولعظيمِ سُلطانِهِ.



خمسٌ استُفتِحْنَ بالحمد:

الفاتحة، الأنعام، الكهف

سبأ، فاطر.

أعلمكم ببعضٍ من نِعَم مولاكم عليكم:

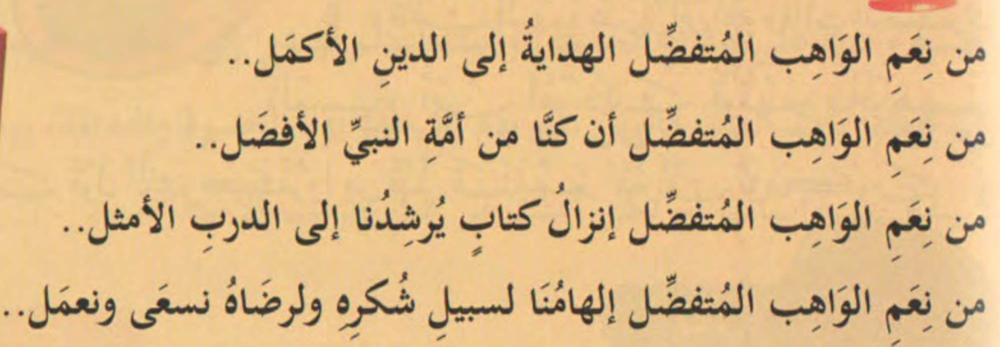
- أن هدَاكم لما فيه خيرُكم وصلاحُكم..
- وبيَّنَ أحكامَهُ ومُرادَهُ منكُم في كتابٍ بلُغَتِكُم..
- أنزلَهُ عليكُم بواسِطَة نبيِّكم، فهداكُم وعلى سُبُل الخير دلَّكم وأرشَدَكم.

من صفاتِ كتابِكم:

1. لا يأتيهِ الباطلُ من بين يديهِ ولا من خَلفِه.
2. يهدي إلى الحقِّ وإلى صراطٍ مُستقيم.
3. قيِّمٌ على الكتب التي سَبَقَتْهُ مُصدِّقٌ لها وشَاهِدٌ على صحَّتها.
4. قيِّمٌ على كلِّ نفسٍ يرمي إلى تهذيبهَا وإصلاحِها وهدايتِهَا إلى سُبُلِها.
5. لا يتطرَّقُ الشكُّ أنه من عند الله وفيه خطابُ الله إلى خلقه.



بالعلم نرقى للمعالي..



من نِعَمِ الوَاهِب المُتفضِّل الهداية إلى الدينِ الأكمَل..

من نِعَمِ الوَاهِب المُتفضِّل أن كنَّا من أمَّةِ النبيِّ الأفضَل..

من نِعَمِ الوَاهِب المُتفضِّل إنزالُ كتابٍ يُرشِدُنا إلى الدربِ الأمثل..

من نِعَمِ الوَاهِب المُتفضِّل إلهامُنا لسبيلِ شُكرِهِ ولرضَاهُ نسعَى ونعمَل..

أعلمكم بأسلوبَي الإنذارِ والتبشير:

فأخبِرُكم بالمآلِ والمصيرِ، وأترُكُ لكم حريَّةَ الاختيار والتقديرِ، فليَخَفِ المُقصِّرونَ من سوءِ المصير، وليهنأِ الطائِعُون بحسنِ العطاءِ من المولَى القدير، إنه بعبادِهِ خبيرٌ بصيرٌ..

أعلمكم بحالِ مَن أشرَكَ من أقوامِكُم..

وكيف عبَدوا مع الله إلهاً آخر، أو نسَبُوا له الولد، واتبعوا آباءَهم وأجدادَهم بتقليدٍ أعمى دون تمحيصٍ لمَسلَكِهِم أو استثناءٍ لأخطَائِهم، وما ذاكَ إلا افتراءٌ منهم، فليس لهم دليلٌ يشهَدُ بصحَّةِ ادعاءاتِهم وأقوالِهم.

كلمةُ الكُفرِ:

قالَهُا المشركون وجعلوا الملائكةَ بنات الله.

قالها اليهودُ وجعلوا عُزيراً ابناً لله.

قالها النصارى وجعلوا المسيحَ ابناً لله.



اقرؤوا قولَ ربِّكم

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

[التوبة: 30]

اسمعُوا حديثَ نبيِّكم

« ليسَ أحدٍ أصبرَ على أذىً سَمِعَهُ من اللهِ؛ إنهم ليَدعونَ له ولداً، ويجعلونَ له أنداداً، وهو مع ذلك يُعافيهِم ويَرزُقُهم » [متفق عليه].

تعالَى الله عما يقولون علوّاً كبيراً، ما اتخَذَ صاحبةً ولا ولداً، فلنُنزِّههُ ونعبُده وحدَهُ لا شريكَ له، وكفَى به وكيلاً.

بالعلم نرقَى للمعالي..



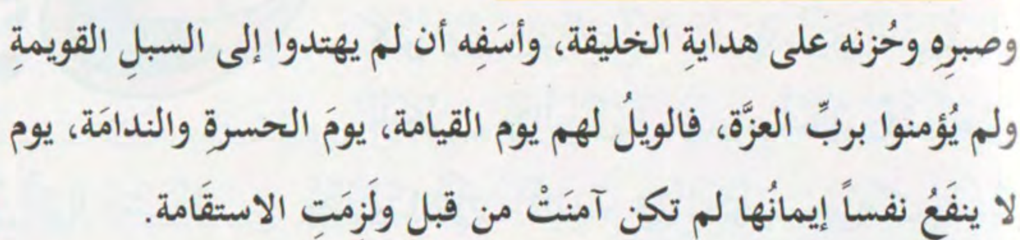
بالعلمِ عرَفنَا سبيلَ المُوحِّدينَ العَابدينَ للهِ المُخلصينَ له الدين.

بالعلمِ أدركنَا مصيرَ الكافرين وشقاءَهم بإعراضِهم عن ربِّ العالمين.

بالعلمِ استنْتَجْنَا مصيرَنا قياساً على ما جاءَ في أخبارِ السابقين.

بالعلمِ اكتشفنَا طريقَ أهلِ الدنيا وخسارَتهم إن لم يؤمنوا بما جاءَ به خيرُ المرسلين.





أعلمكم بحالِ نبيِّ الأمة..

وصبرِهِ وحُزنه على هدايةِ الخليقة، وأسَفِه أن لم يهتدوا إلى السبلِ القويمةِ ولم يُؤمنوا بربِّ العزَّة، فالويلُ لهم يوم القيامة، يومَ الحسرةِ والندامَة، يوم لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكن آمنَتْ من قبل ولَزِمَتِ الاستقَامة.

اقرؤوا قول ربِّكم

﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ٥ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [الشعراء: 3-6]

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [فاطر: 8]



أعلمكم بحقيقةِ وجودكُم في حياتكم الدنيا..

وأنَّها لَهوٌ ومتاعٌ وزينةٌ زائفةٌ زائلةٌ، وأنَّكُم مبعوثون بعدَ الموت للحسَاب والمُسَاءلة ومُجَازون ومسؤولون عن مثقالِ الذرَّة، فليَختَرِ الإنسانُ لنفسِهِ العاقبة.

اسمعوا حديث نبيكم

« إنَّ الدنيا حُلوَةٌ خَضِرَة، وإنَّ الله مُستَخلِفُكم فيها فناظِرٌ كيفَ تعمَلُون » [مسلم].

۞ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ
كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى
ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ
لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا
﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟
رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَـٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ
لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ
عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ
ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ
أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ
لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَـٰهُمْ
لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا
فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟

عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾

المقطع الثاني

كلماتي

﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾: لوحٌ حجريٌّ كُتِبَت فيه أسماءُ أهلِ الكهف في الغَار الذي أووا إليه.

﴿أَمَدٗا﴾: المدَّة المحدودةَ التي مكثوا فيها، وكانت لها نهايةٌ وغايةٌ.

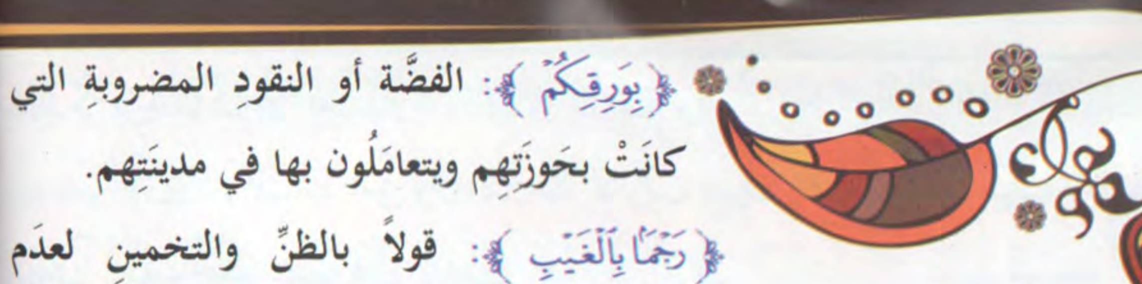
﴿شَطَطًا﴾: قولاً خارجاً عن حدودِ المعقولِ والمقبولِ.

﴿مِّرۡفَقٗا﴾: ما تنتفعُونَ به ويصلِح من حالِكم.

﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ﴾: تميلُ عنهم ولا يقعُ شُعَاعُهَا عليهم.

﴿تَّقۡرِضُهُمۡ﴾: تتجَاوَزهم وتبتعدُ عنهم فلا تُصيبُهُم.





﴿ بِوَرِقِكُمْ ﴾: الفضَّة أو النقودِ المضروبةِ التي كانَتْ بحَوزَتِهم ويتعامَلُون بها في مدينَتِهم.

﴿ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ﴾: قولاً بالظنِّ والتخمينِ لعدَم معرفَتِكُم بما غابَ وخَفِيَ عن علمِكُم وخَبَرِكُم.

﴿ مُلْتَحَدًا ﴾: مَلجأ ومَوئِلاً وناصِراً ومُعيناً من دونِ الله جلَّ علاه.

معلوماتي

أعلمكم الخبرَ اليقينَ عن قصَّةِ أصحابِ الكهف:

الذين مكثُوا في سبات، (309) من السنوات، فكانوا من الآيات الباهِرَات والمُعجزات على قدرةِ ربِّ الأرض والسموات.

كانَ فيمَن كانَ قبلَكُم في غابر الأزمَان، ملكٌ عظيمٌ ذو جاهٍ وسلطان، غرَّه مُلكُهُ ولم يؤمِن بالله الواحد الديَّان، وكان قومُهُ له تبعاً يعبُدون بأمره الأوثان، حتى تيقَّظَت عقولُ مجموعة من الفتيان ورأوا أن الخيرَ في عبادةِ ربِّ الأكوان، وأنه لا ينفعُ الكفرُ والشركُ إذا ما حُشِرَ الناس وحَاسَبَهُم الديَّان، فحمَدوا الرحمنَ أن هَدَاهُم إلى الإيمان.

وفِراراً من بطشِ مَلِكِهِم وتعرُّضهم للأذى والطغيان، بعد أن سمعَ الملك بخبَرِهم وقرَّر قتلَهُم وإنزالِ العقوبة بهم والحرمان، قرَّروا النجاةَ بالرحيلِ حفاظاً على دينِهِم إلى أرضِ الصلاحِ والإيمَان، فأووا إلى كهفٍ صغيرٍ بعيداً عن أنظارِ الناس ورفعوا أيديهم إلى الرحمن، سائلين تأييدَهُ وفضلَهُ شاكرينَ أن نجَّاهم من الكفر والعصيان.

وكانت إرادةُ الله تباركَ وتعالى أن ينامُوا (309) من السنين مُتواصِلينَ دونَ أن يمسَّهُم سوءٌ، فقد حمَاهُم مما قد يصيبُ أيُّ إنسان، ثم أيقظهم من بعد رِقادهِم ليكونوا عبرةً وعظةً عبر الأزمان.

علَّمَتني قصةُ أصحابِ الكهفِ

المؤمنُ الحقُّ ثَابِتٌ على الحقِّ، لا يؤثِّر فيه الباطل وأهلُه، ولا يتبعُ قومَهُ ويُقلِّدهم بجهلِه، بل يُعمِلُ عقلَهُ وتفكيرَهُ، ويُصحِّحُ مَسَارَهُ وعقيدَتَهُ، مهما قلَّ الحقُّ وندَر أتباعُهُ.

بدليلِ قولهِ تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ ﴾.

اسمَعُوا حديثَ نبيِّكم

« ليُوطننَّ المَرءُ نفسَهُ على أنَّهُ إنْ كَفرَ مَن في الأرضِ جميعاً لم يَكفُر، ولا يَكُونَنَّ أحدُكم إمَّعَة »..

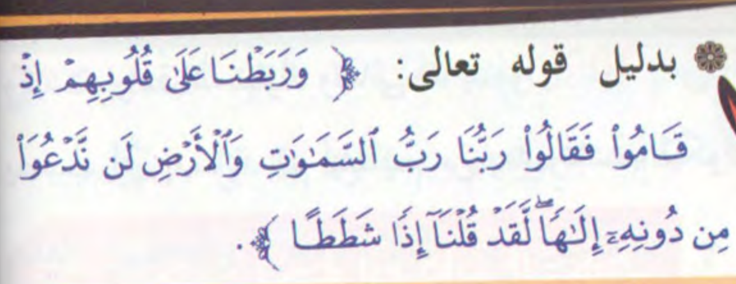
قيلَ: ومَا الإمَّعَة؟ قال: « الذي يقولُ: أنا مع الناسِ، إنَّهُ لا أُسوَةَ في الشرِّ » [الطبراني].

علَّمَتني قصةُ أصحابِ الكهفِ



إنَّ الله يُؤيِّدُ المُخلِصَ الصَّادِقَ من عِبَادِهِ، ويَهَبُهُ من السكينةِ والطُمأنينةِ ما يُهوِّنُ مصَائِبَ الدنيا عليهِ، وما يَجعَلُه يستَهِيْنُ بجبَرُوتِهَا أمامَ ثباتِ عَزيمَتِهِ وإرادَتِه، فلَن يُثنِيْهِ أذى الناسِ واضطِهَادُهُم له، فهوَ على الحقِّ وأيُّ قولٍ غير ذلك لا يُأبَهُ له ولا يُلتَفَتُ إليه فزادَهُ الله من هُداه ووفَّقَ مَسَاعِيه.

بدليل قوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾.



بالعلم نرقى للمعالي:

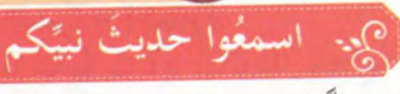
أشرقَ في ذهنِي أن أغتنِمَ شبَابي ليُحبَّنِي ربِّي.

إنَّهُم فتيةٌ في مُقتبَلِ العُمرِ لكنَّهُم كبارٌ في الذِّكْرِ والقَدرِ.



أقبلَتْ عليهِم الدنيا بشهوَاتِها وزينَتِها فآثَرُوا رضاءَ الله على الانصياعِ لها.

جَاهَدُوا في الله أنفُسَهُم وتركوا لأجلِهِ أهواءَهُم فأكرَمَهُم وأجزلَ عطَاءَهُم وثوَابَهُم.



اسمعُوا حديثَ نبيِّكم

« إنَّ أحبَّ الخلائقِ إلى الله عزَّ وجلَّ شابٌّ حَدَثُ السِّنِّ، في صورةٍ حسَنَةٍ، جعَلَ شَبَابَهُ وجمَالَهُ لله وفي طاعَتِه، ذلك الذي يُبَاهِي به الرحمَنُ مَلائِكَتَهُ يقولُ: هذا عبدي حقّاً » [ابن عساكر].

علَّمتني قصةُ أصحابِ الكهفِ

إنَّ الله يحمِي عبدَهُ المؤمن إنْ أخلَصَ النية وصَدَقَها، فلم يُؤثر فيهم طولُ المدَّة وهم رقودٌ فيها ولم تُصِبْهُم الشمسُ بأشعَّتِها ولم تُؤذِهِم بحرَارَتِها، ولم يعتري أجسادُهم ما يصيبُ الأعضَاءَ من النومِ الطويلِ فالمَولَى حَفِظَهَا وحَمَاهَا.

بدليل قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾

إرادة الله

علّمتني قصةُ أصحابِ الكهفِ

قد شَاءَتْ إرادةُ الله أن تتغيَّرَ الطبائعُ الكونيَّةُ لأجلِ حِمَايَتِهم، فكانَ شكلُهُم كأنَّهُم أيقاظٌ لمَن يَرَاهُم، لكنَّهُم نيامٌ تتقلَّبُ أجسَادُهُم لئلا تأكلَ الأرضُ لُحومَهُم، وضربَ الله على آذانِهم فلم يَسمَعُوا صوتاً يُوقِظُهُم، وبَقِيَ ذِكرُهُم عبرةً للأقوامِ التالية بعدَهُم.

بدليل قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾

علّمتني قصةُ أصحابِ الكهفِ

جوازُ الهجرةِ من أرضِ الباطلِ وأماكنِ السوءِ إلى مَا يُرضِي الله، واعتزالُ الناسِ إنْ كانوا إلى الشرِّ فتنةً يدعونَ إلى ما يُغضِبُ الله، والحرصُ على عدم التأثُّرِ ببيئةِ الفسادِ والتحصُّنِ من تأثيرِهم والالتجاءِ إلى حمَايةِ الله فالمُهاجِرُ الحقيقيُّ من هَجَرَ ما كَرِهَ ربُّهُ ومَا لا يَرضَاه، وتمسَّكَ بالحقِّ ولم يُشرِك بالله، ولم يتَّخِذْ مَعبُوداً سِوَاه.



بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾



اقرؤوا قول ربكم

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: 97].

اسمعوا حديثَ نبيِّكُم

« يأتي علَى الناسِ زمَانٌ خيرُ مَالِ الرجلِ المُسلِمِ الغنَم، يتبَعُ بها شَعفَ الجبالِ ومواقعَ القطرِ، يَفِرُّ بدينِه من الفِتَنِ » [البخاري].

علَّمَتني قصةُ أصحابِ الكهفِ

الله يهدي من يشاءُ إلى صراطِهِ المستقيم، ويُجيرُ مَن لاذَ به ويحميهِ مِن سَوَاءِ الجحيم، ويُهيِّئ له من الأسبابَ ما يُوصِلُهُ إلى مَرضَاةِ الربِّ الرحيم، فهوَ سُبحَانَهُ المُعطي الموفِّق لأسبابِ استحقاقِ الجنانِ والنعيمِ المُقيم.

بدليل قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾

علَّمَتني قصةُ أصحابِ الكهفِ

صحبةُ الأخيارِ نفعَتْ كلباً، فكيفَ بمَنْ كانَ صَادِقاً ومُحبّاً، قد شمَلَتْهُ عنايةُ الله لأنَّهُ كان لهم مُرافِقاً، ثم بُعِثَ معهم ليكونَ على ثَبَاتِهم شاهِداً، وعلى زيادَةِ إعجازِ المولَى دليلاً، قامَ على حِرَاسَتِهم فرُفِعَ ذِكرُهُ وحُفِظَ في قُرآنٍ يُتلَى.

بدليل قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ ﴾

علّمتني قصةُ أصحابِ الكهفِ

بينَ هذهِ النومَةِ والموتُ تَطَابُقٌ ومُشابَهَة، طويلةٌ كانَت أو قصيرةٌ لا بدَّ لهَا مِن نهَايَة، ثمَّ كان بعدَهَا بعثٌ كما سَنَحيَا من بعدِ مَوتِنَا يومَ القيَامة، فهل بقيَ عندَ الإنسان شكٌّ بأنَّ اللهَ ذو قُدرَةٍ مُطلقة؟!

بدليل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾

علّمتني قصةُ أصحابِ الكهفِ

ظنَّ أهلُ الكهف أنَّهم لَبِثُوا يوماً أو بعضَ يومٍ، لكنَّها كانَتْ مُدَّة طويلة قَضوها في النوم وكذلك الغَافِلُ يرى الحياةَ مُستَمِرَّةً ويتنَاسَى أنه قياساً على مِقدَارِ عمَلِهِ فيها مُقصِّر مَلُوم.

بدليل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾

معلومة علمية

لبثَ أهلُ الكهفِ في رقادهم ثلاثَ مئة سنة شمسيَّة بحساب الأيام، لكن لما كان الإخبارُ هنا للنبيِّ العربيِّ زادَهَا تسعاً، إذ أنَّ المفهومَ عنده من السنين القمرية، وهذه الزيادة هي الفارقُ ما بين الحسابين؛ لأنه يتفاوتُ في كلِّ ثلاث وثلاثين وثلث سنةٍ سنةً فيكون في ثلاث مئة تسعَ سنين، ذلك تقديرُ العزيزِ العليم.



المؤمنُ يتحرَّى اللقمةَ الحلالَ في طعَامِهِ، ويطلُبُ أزكَاهُ وأطيَبَهُ وأجوَدَهُ، ويعلَمُ أنه من رِزقِ الله وفَضلِهِ وأنَّهُ امتنَّ عليه بامتِلاكِه ليقتَاتَ به، وسيسألهُ يومَ القيامَةِ عن مَالِهِ، من أين اكتسَبَهُ وفيمَ أنفقَهُ.

بدليل قوله تعالى: ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾





ليسَتِ العبرةُ في عددِ أصحابِ الكهفِ ولا أسمائِهم فلا تُكثر السؤالَ عنهم، وليسَتِ الغايَةُ أينَ دُفِنُوا وإنِ استقرَّ الأمرُ على بنيانِ مسجدٍ يخلِّد مكانَ منَامِهم، ولا كيفَ لم يَبلُوا ولم يُصِب التغييرُ والفناءُ حتَّى ثيَابَهُم إنَّمَا الفِكرَةُ في قُدرَةِ الله الذي دبَّرَ الأمرَ فنجَّى المؤمنينَ وعصَمَهُم وحَمَاهُم، وبقيَ الكَفَرَةُ علَى شِركِهِم ولم ينفعهُم عِنادُهم، وقد جاءَتهم الآياتُ والنذُر فأنَّى لهم ذكرَاهُم.

بدليل قوله تعالى: ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾

بالعلمِ نرقى للمعالي:

إنْ كُنتَ مُؤمناً تَبتَغِي مرضَاةَ ربِّك وبيتاً بالجنَّة فاترُكِ المِراءَ ولو كُنتَ مُحقّاً.. الجَدَلُ فيما لا طَائِلَ منهُ ليسَ من شِيَمِ أهلِ الإيمانِ بل يَسألُونَ عمَّا يَنفعُهُم حقّاً.. وكثرةُ السؤالِ وقيلَ وقالَ مَنهيَّاتٌ على لسانِ مَن جاءَ بالحقِّ هاديَاً وإليهِ دَاعِياً.. فاحرِصْ على ما ينفَعُكَ وتعلَّم ما يزيدُكَ من ربِّكَ قُرباً ولكَ بدُنيَاكَ نفعاً عَمِيمَاً.

لا
الجدال
كثرة السؤال
قيل وقال

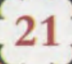
اقرؤوا قول ربكم

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 46].

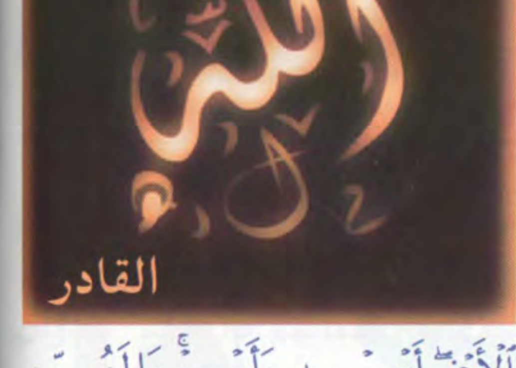
علّمتني قصة أصحاب الكهف



أنْ أتوكَّلَ على ربِّي، وأستعينَ به لهدايةِ دربي، وإنِ اعترَاني غفلةٌ أو نسيانٌ بحُكمِ طبعِ الإنسانِ أعودُ إلى صَوَابِي، وأُدَاوِمُ علَى ذكرِ ربِّي، وأعلَمُ يقيناً أنَّ كلَّ شيءٍ بمَشيئَتِهِ لذلِكَ أَستَثْنِي، وأقولُ: (إنْ شاءَ الله) عند هَمِّي وقَولِي وعَمَلِي، فإنْ كانَتْ مُقدَّرَةً مَكتوبَةً جرَتْ بمَا أرادَ لي خالقِي، وإنْ لم تكُن لي فلن أنالَهَا بجُهدِي وحِرصِي، فلا أتحسَّر على مَا فَاتَنِي وأعلَمُ أنَّهُ لو كانَ لي لم يمنَعْهُ أحدٌ عنِّي ولا يأخُذه غيري، بدليلِ قولِ ربِّي: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾.



ولي أسوةٌ في هديِ نبيِّي الذي أخبرنا عنهُ خادمُه أنسُ بن مالك الأنصاري بقولِهِ: خَدَمْتُ النبيَّ ﷺ عشرَ سنينٍ، فمَا بَعَثَنِي في حَاجَةٍ لم تتهيَّأ – وفي روايةٍ: لم أُتِمَّهَا– إلا قالَ: « لو قُضِيَ لكَان »، أو « لو قُدِّرَ لكان » [ابن حبان].



علّمتني قصةُ أصحابِ الكهفِ

أنَّ الله قادرٌ على المُمكِنَاتِ وحتَّى المستحيلات، وأنَّ علمَهُ تعالى محيطٌ بالكليَّات والجزئيَّات، وأنَّ ما حَصَل في بعضِ الأوقاتِ مُمكِنُ الحدوثِ في سائر الأوقَات يأتي به الله وهو القادرُ الحكيمُ ذو المعجزاتِ الباهرَات.

بدليل قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ ﴾

بالعلمِ نرقَى للمَعالِي:

أدرَكْتُ بالعلمِ النظامَ الكونيَّ في تسييرِ المخلوقاتِ والكواكبِ بأمْرِ الله.

وأيقَنْتُ أنَّ لكلِّ مهمَّة يُؤدِّيها كما أُمِرَ فهو مُسَخَّر لما وظَّفَهُ له الله..

فإذا حدثَ مَا يُخَالِفُ ذلك ويُنَاقِضُهُ أُسَلِّمُ وأقولُ:

﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾..







أعلمكُم بعد أن بَسَطتُ القصَّةَ لكم..

وأوجَزْتُ الذكرَ على مواضِعِ العِظَةِ التي تنفَعُكم، وأُذَكِّرُ بسبَبِ نُزولِهَا الذي تقدَّمَ خبرُهُ عندكُم، أن تَكِلُوا كلَّ أُمُورِكُم إلى مشيئةِ ربِّكُم، وتتبرَّؤُوا من حَولِكُم وقوَّتِكم، وتقولُوا عندَ نيَّتِكم وقبلَ مُباشَرةِ أعمَالِكُم: (إنْ شاءَ الله تعالى) ليُيَسِّرَ أمُورَكُم.

اقرؤوا قول ربكم

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: 29].

أعلمكم ألا تأخُذُوا دينَكم وأحكامَكم إلا من المَصَادِرِ الرئيسةِ التي شُرِعَت لكُم..

كتاب الله وسنَّة نبيِّكم، فخذُوا الحقَّ واتلُوا كتابَ ربِّكم، وتعلَّمُوا تأويلَهُ ممَّن أرسلَهُ الله ليُبَيِّنَ لكم مَا نُزِّلَ إليكم، ولا تَطلُبُوا سواهُ بديلاً ففيْهِ خبَرُكُم ونبأُ ما قبلَكم وما سيأتِي بعدَكُم، فرضينَا بالله ربّاً وبالإسلامِ ديناً وبالقرآنِ كتاباً وبمحمَّدٍ نبياً ورسولاً وهذا نَهجُكم، فيه سعادَتُكم ونجاتُكُم والعمَلُ بغيرِهِ نذيرٌ بخَسَارَتِكم وهلاكِكُم.



بدليل قوله تعالى:

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾



﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس: 15].

بالعلمِ نرقى للمعالي:

قد سلَّمت أن المؤمنَ يعلمُ بأنَّ القرآنَ مُنزلٌ بالحقِّ من ربِّه، وأنه قد تمَّت كلماتُه صِدقاً وعدلاً ولا مُبدِّلَ لكلِمَاتِه، وذلك بإنفاذِ قضائِهِ على أهلِ أرضِهِ وسَمَائِه لذلك أُمِرْنَا بالأخذِ عنهُ مع اليقين بمِصداقيَّتِه، ونبذِ مَا سِوَاه فهو الخيرُ الذي لا مِريَةَ فيه، فلا يأتيهِ الباطِلُ من بينِ يَديهِ ولا مِن خَلفِهِ، وهو مُصَانٌ بأمرِ اللهِ الذي تكفَّلَ بحِفظِهِ.

ومضة

المُلتحد ما تميلُ وتأوي إليه، وما تلجَأ إليه وتعتَمِدُ عليه، ومنه اللحدُ أي القبرُ الذي يُوارَى الميتُ به، وكأنَّ ربَّنَا يقولُ لنا: هل تجدونَ لكُم إلهٌ غيري يكونُ معَكُم في حياتِكم وفي قبورِكم ويومَ بَعثِكُم ونشورِكم؟ فليس لنا حرزٌ ولا حصنٌ إلَّا هو، ولا أمانٌ إلا بالاعتصامِ بجنَابهِ مالنا مولَى سِوَاه.



بالعلم نرقى للمعالي:



استنتَجْتُ أنَّ علَى المرءِ أن يَعقِدَ عهداً بينهُ وبين ربِّه إن وفَّى به فلَهُ الجنة.
وأن يَعتَصِمَ به وحدَهُ ويتمسَّكَ بما أمَرَهُ به ويلتَزِمَ نهجَ القرآنِ والسُّنَّة.

حتَّى نبينا قالَ بما أخبرَ عنه كتابُ ربنا:

﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ﴾ [الجن: 22-23].

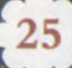
فأكمِلُوا مَا أنذَرَكُم به ربُّكم:

﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن: 23].

وبذلكَ أعلَمُ معنَى قول النبيِّ ﷺ لما جاءتهُ قريش مستهزئةً مُعانِدَةُ وطلبَتْ منه على وجه الاستعلاءِ والمُكَابَرَة: ائت بقرآن غير هذا أو بدِّله، فردَّ عليهم بما بَقِيَ قرآناً يُتلَى فيه العِظَةُ والعِبرَة، وقالَ كمَا أمَرَهُ المولَى:



﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [يونس: 15].





﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا (٢٨) وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا (٢٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا (٣١) ﴾

المقطع الثالث

كلماتي

﴿ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴾: لا تتجاوَزْ شؤونَهُم وتنظُر إلى غيرِهم، ولا تنشَغِلْ عنهُم بسِوَاهُم فليسوا خيراً منهم.

﴿ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾: مُتجاوزاً حدَّ الاعتدال، مُكثِراً من نبذِ الحقِّ والإعراضِ عن جميلِ الفِعَال والخِصَال.

﴿ أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا ﴾: التفَّتْ حولَهُم جدرانُهَا، وحجزَتْهُم عمَّا سواها، فلا يستطيعونَ الخروجَ منها وقد حُبِسُوا فيها.

أحاط
بهم
سرادقها

﴿ بِمَآءٍ كَٱلۡمُهۡلِ ﴾: كعكرِ الزيتِ المغليِّ، الذي يتبقَّى في أسفلِ الإناءِ من حرارةِ القَلي.

﴿ سُندُسٍ وَإِسۡتَبۡرَقٍ ﴾: السندس: الرقيق من الديبَاجِ، الاستبرق: الغليظ منه.

معلوماتي

أعلمكُم أن تشدُّوا الهمَّةَ في طاعَةِ مَولاكُم..

وأن تستعينوا بالصحبةِ الصالحةِ لتكونَ أنيسَكم ورفيقَكُم، وكونوا كالمختارِ نبيِّكُم، حيث آثَرَ مُجالَسَةَ الصالحين والدنوِّ منهم واقتدَى به صحبُه رضوانُ الله عليهم، فقال أبو ذرٍّ الغِفَاري: (أوصانِي خليلي بحُبِّ المساكينِ والدنوِّ منهُم) [أحمد].

أعلمكم أن لا تُقيِّمُوا الناس من مَظهرِهِم ولِبَاسِهم..

ولا تتعَامَلُوا معهم بقَدرِ مَالِهم وأملاكِهم، فرُبَّ فقيرِ الحال غني الخُلُق والصفاتِ والشمائل، وربَّ كثيرِ مالٍ محتاجٌ إلى تهذيب نفسٍ واجتنابٍ للكبرِ والعُجب وسائر الرذائلِ، وتذكَّروا دوماً أنَّ الدنيا فانيةٌ والمالُ عرَضٌ زَائلٌ.





مَن حَكَمَ على الناسِ مِن مَظهَرِهِم، وأَنِفَ وتعالَى حتَّى عَن مُجَالَسَتِهِم، هم كفَّارُ قريش الذين يُدعَوْنُ أشرافهَا وسادتهم، الذين رأوا الضعفاءَ والمساكين أقلَّ شأناً منهم، وأودَى بهم كبرياؤهم إلى الطلبِ من رسولِ الله أن يُقصِيهِم عنهم، وأن يجعلَ لهم مكاناً يليقُ بشرَفِهِم ومكَانَتِهم، لعلَّهم يستمعونَ إلى ما يدعوهُم إليه، والله أعلمُ أن لن يصلحَ حالُهم ولن يعلنوا إسلامَهم، فجاءت آياتي توضيحاً للنبيِّ ﷺ ألا تنخَدعْ بظَاهِرِ مقَالَتِهِم، إنَّما هيَ حُجَّةٌ لينصرفوا عن مجَالسِك ويُبرِّروا كفرهم وإعراضهم، وأن هؤلاء المساكين أفضلُ حالاً وأحسنُ إيماناً، فاصبِرْ يا محمَّد نفسَكَ معهُم، ولا تنشَغِلْ عنهم بغيرهم..

واقرؤوا إن شئتم قولَ ربِّكُم

يصفُ حالَ من ادَّعى هذه الحجَّةَ الواهية ممَّن سَبَقَكُم، فهؤلاء قومُ نوحٍ عليه السلام، يُعيِّرُونَهُ بأنَّ أتباعَهُ من الضعفاء والمساكين وينعَتُونَهُم بقُبحِ الكلامِ، ويقولونَ له مُتعجرِفين مُتعَالِين: ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء: 111]، فمَا كانَ جوابه إلا أن قالَ: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: 114]..

بالعلم نرقى للمعالي..



عندمَا أزدادُ علماً وفهماً أزدادُ يقيناً بأن لا أحكمَ على الناس من مَظهَرِهم..
وأن لا أنتقي من أُصَاحِبُ بناءً على عوارضَ زائلةٍ في أحوَالهم..
وأن أختارَ الرقيَّ في سلُوكِهم وأخلاقِهم ومُعَاملاتهم..
وأن أتحرَّى الدينَ فهو الكفيلُ بتقويمِ علاقَاتِهم وتصحيحِ مَسلَكِهم..
فهو دينُ المساواةِ بين الطبقَاتِ فليس أكرَمُكم أغنَاكم بل أتقَاكُم..
وأتذكَّرُ دوماً أني أُقَاسُ بهِم وأقتَبِسُ من صِفَاتِهم وطبَائِعِهم..
فالصاحبُ سَاحِبٌ هكذا علَّمَنَا أهلُ الحِكَمِ وأفادُونَا من تجَارُبِهم..
وممَّا أحفظُ من أقوالِهِم: (لا تَصحَبْ إلا من يُنهِضُكَ حالُه، ويَدلُّكَ علَى الله مَقَالُهُ)..

اسمعوا حديثَ نبيِّكُم



« لا تَصحَبْ إلا مُؤمِنَاً، ولا يَأكُل طعامَكَ إلا تقيٌّ » [أبو داود].

معاتبةُ لنبيِّ الأمَّةِ..

قد عَلِمَ الله أنَّكَ بَاخِعٌ نفسَكَ علَى آثارِهم إن لم يُؤمنوا بك ويتَّبعُوك..
فلا تُذهِبْ نفسَكَ عليهِم حَسَرَاتٍ فمَهمَا جَهدتَ وسَعيتَ لن يُطِيعُوك..
والتَفِتْ إلى مَنْ أحبُّوكَ وأطَاعُوكَ وبأروَاحِهِم وأنفُسِهَم فَدوك..
واحرِصْ علَى مُلازَمَتِهم وإيصالِ الخيرِ لهم وثِقْ أنَّهُم سيُطيعُوك..





﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام: 52].

وإن جاءكَ أميَّةُ بن خلَفٍ أو غيرُه من الأشرافِ وطلَبُوا منك أن تَخُصَّهُم بيومٍ وتُنَحِّي عنه الفقراء والضِعَاف، فلا تستَجِب لدعوَاهُم والزَمِ الإنصَاف، واعمَلْ بقولِ ربِّك في سورةِ الكَهف: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾..

إثباتٌ وشاهدٌ بأنَّ السورةَ مكيَّة..



قد عَلِمْنَا أنَّ الصلوات الخمس فُرِضَتْ قُبيلَ الهجرةِ، في رحلةِ الإسراءِ والمعراجِ التي كانَتْ مُعجِزَةً وذِكرَى، وكانوا فيمَا سَبَقَ يُصلُّونَ لربِّهِم صَبَاحاً ومسَاء، بكيفيَّةٍ وطريقةٍ لا يَعلَمُهَا إلا ربُّ السمَاء، وهي المقصودةُ بقولِهِ: يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فالآياتُ نزلَتْ في بدايةِ البعثةِ، أي في مكَّةَ المكرَّمة، وفي ذلك إشارةٌ لطيفةٌ فتدبَّرِ القرآنَ واستَنبِطِ الفِكرَة..

اقرؤوا قولَ ربِّكم

﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الإنسان: 25]..

ثم نُسِخَتْ إلى الأوقاتِ الخمسَةِ المفروضةِ، المجموعةِ بقولِهِ تعَالى:

﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم: 17-18]، وبَقيتْ فضيلةُ الذكرِ عندَ الفجرِ والعَصرِ، أو أوَّلَ اليومِ وآخِرَه كما روى سيدنا النبيُّ ﷺ عن ربِّهِ:

« ابنَ آدم؛ اذكُرني أوَّلَ النهارِ وآخِرَهُ؛ أكْفِكَ ما بينَهُمَا » [أحمد]، وفي رواية:

« اذكُرني بعدَ الفجرِ وبعدَ العصرِ ساعة؛ أكْفِكَ ما بينَهُمَا ».

أعلمكُم بعاقبةِ وخُسرانِ مَن يتَّبِعُ الهوَى فيُضلَّهُ عن سبيلِ اللهِ..

ومن يصدُّهُ الشيطانُ عن العبادةِ وذكر الله، ومن يُفتَنُ قلبُهُ وتغرُّهُ زينةُ الحياةِ الدنيا فتصدَّهُ عن طاعَةِ الله، فيبوءَ بالحسرةِ والندامَةِ والطردِ من رحمةِ الله.. ويقابلُهُ مَن خالَفَ هوَاهُ، وجَاهَدَ نفسَهُ ابتغاءَ مَرضَاةِ الله، واعتَصَمَ بحبلِ الله وأوثَق عُرَاهُ، فجعلَ صُحبَتَهُ وصَداقَتَهُ وعَلاقَاتِهِ سَبيلاً لنيلِ ظلِّ عَرشِ الله، أسوَتُهُ نبيُّهُ ﷺ وهو القائلُ بعدَ أن نزلَتِ الآياتُ عليه:

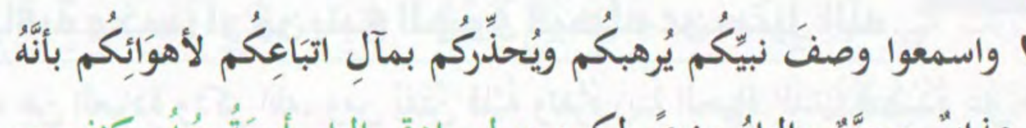
« الحمدُ لله الذي جعلَ لي في أمَّتِي من أمرَني أن أصبرَ نفسي معهُ ».

اقرؤوني بتدبُّر وتمعُّن..

لم يقصِدِ المولَى بقوله: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾، أنَّ الإنسانَ يختارَ ما يشاءُ من الكفرِ أو الإيمان دونَ سُؤالٍ أو حِسَابٍ، بل إنَّهُ سُبحَانَهُ أتبَعَ الآيَةَ بالوَعيدِ وسُوءِ العِقَاب وبأنَّهُ أعدَّ وهيَّأَ جهنَّمَ لمنْ أشرَكَ بربِّ الأربَاب، فسَاءَ مُستقرهُ ونَدمَ أن لم يلزَمْ نهجَ الاستقَامَةِ على السنَّةِ والكِتَابِ.

اقرؤوا قول ربِّكم

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾ [فصلت: 46].



أعلمكم عن صورةٍ من مشاهدِ عذابِ النارِ..

حَبْسٌ بينَ حيطانٍ وجُدرانٍ مِن نار، ومَنْعٌ من الخروجِ بل مُقَامٌ واستِقرار، وطعامٌ ذا غُصَّةٍ وشرابٌ مذاقُهُ المَرَار، ولا مُغيثَ ولا نَصيرَ بل خلودٌ وبِئسَ القَرار.

واسمعوا وصفَ نبيِّكم يُرهبكم ويُحذِّركم بمآلِ اتباعِكم لأهوائِكم بأنَّهُ عذابٌ محتَّمٌ والنارُ مثوىً لكم: « لسرادقِ النارِ أربعَةُ جُدُرٍ كثفٍ – ثخينَةٍ غليظَةٍ–، كلُّ جدارٍ مسافَةُ أربعينَ سنة »، وتابعَ وصفَهُ ليخوِّفكم ويُنذِرَكم: « المهلُ كعكَرِ الزيتِ، فإذا قرَّبَهُ إلى وَجهِهِ، سَقطَتْ فروَةُ وَجههِ فيه » [أحمد].

أعلمكم بمَا أعدَّ اللّٰه للطائعينَ في نيَّاتِهِم وأقوالِهِم وأعمَالِهِم..

وجزاء من صَلُحَتْ فِعَالُهُم وما أُعِدَّ لهم في جنانِ ربِّهم، خلودٌ ونعيمٌ والأنهارُ تجري من تحتِهم بالحليِّ والأساورِ تُزيِّنُهم وتُجمِّلُهم، ومن السندسِ والاستبرقِ الزاهي ثيابُهم، على الأرائكِ مُتَّكئهم ومضاجِعُهم، والسعادةُ والحبورُ بادونَ على مَلامِحِهم، والفرحةُ تغمُرُ قلوبَهُم والنُّضرَةُ تعلُو وُجُوهَهُم، بما استحقُّوا من أُعطِياتِ ربِّهم، وكانَت تلكَ أمثِلَةٌ مُصغَّرَةٌ لما لَهُم في مُستقرِّهم ومقامِهم، فلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا عينٌ رَأَتْ وآتاهُم ما لم يخطُر ببالِهِم.

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾

المقطع الرابع



سمِّيت بساتينُ الدنيا جنَّة؛ لاجتنَانِ أرضِهَا، واستِتَارِها بظلِّ أشجَارِها والأنهارُ تجري فيها، تشبيهٌ مصغَّرٌ لجنَّةِ الخُلدِ ونَعيمِهَا، وما عندَ الله خيرٌ وأبقَى لمَنْ كانَ مِن أهلِهَا.



كلماتي

﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: كلُّ ما في الدنيا بمشيئَةِ وإرَادَةِ الله، فإنْ شاءَ أغنَاهَا وأبقَاهَا، وإنْ شاءَ أبَادَهَا وأهلكَهَا، وعجَّلَ في فنائِهَا فلم يستمتعْ بهَا حتَّى أصحابُها ومالِكُوها.

﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: تنزلُ بها صاعقةٌ تُبيدُهَا، فتصبحُ خاويةً من دعائِمِهَا وأركَانِهَا، أرضُهَا زلقةٌ ملساءُ لا تثبُتُ قدمٌ عليها، وماؤهَا بعيدُ المنالِ لا تَصِلُ يدُ الطالِبِ إلى قَعرِهَا.

معلوماتي

أعلمكُم عن قصَّةِ أصحابِ الجنَّتَينِ..

وكانوا فيمَن سبقكُم من الأممِ التي رُويَتْ لكم أحوالُهم للعظَةِ والعبرَة، أو خبرِ الأخوين من بني مخزوم (الأسود بن عبد الأسود بن عبد يا ليل)، وكان كافراً، و(أبي سلمة عبد الله بن الأسود)، وكان مؤمناً، وهو زوجُ أمِّ المؤمنين أمِّ سلمة رضيَ الله عنها قبلَ زواجِ الرسولِ ﷺ بها، وكان رضيعاً في ديار بني سعدٍ وأخاً للنبيِّ فيها، وقد تتكرَّرُ الحادِثَةُ فاكتفُوا باستنباطِ الغايةِ المقصُودَةِ منها، وإليكم سردُها وبيانُها:

رجلٌ أنعَمَ الله عليه بدلَ البُستَانِ اثنَان، كانا من خيرَاتِهما وما فيهما كأنَّهُمَا جنَّتَان، وكانا يجُودَانِ بألوانِ الطعامِ والثِّمَارِ الحِسَان، وكان فيهمَا نهرٌ عذبٌ يروي الظمآن، لكنَّ صاحبَهُما اغترَّ بمَالِهِ وغَفِلَ عن نَسْبِ النِّعَمِ للوَاهِبِ المنَّان، ونَسِيَ شُكرَ المُتفَضِّلِ وأنكَرَ المعروفَ والإحسَان

فجاءَهُ مَا لم يَكُن بالحُسبَان، وباءَ بالندامَةِ على تفريطِهِ يومَ رآهَا خاويةً قد هُدَّتْ منهَا الأركان، فليَكُنْ في خَبَرِهِ عبرةً لبني الإنسَان..

وأخٌ نَاصِحٌ لا يرجو جزاءً على نصيحَتِهِ، يهمِسُ بأذنِ الوعي في أخيهِ علَّهُ يصحُو من غفلَتِهِ، ويُوجِّهُ أنظارَهُ إلى شُكرِ المَولَى وتقديرِ نِعَمِهِ، ويدعوهُ إلى توحيدِ الخالِقِ المُعطِي وحُسنِ مَعرِفَتِهِ، وسؤاله سبحانَهُ أن يُديمَ على المرءِ أفضالَهُ وآلاءَهُ، وأنه قادرٌ أن يَهَبَ من يشاءُ بقدرِهِ وأمثَاله، ويُذهِبَهُ عمَّن لا يقدرهُ ويحرِمَه التمتُّعَ به فالأيامُ تتداولُ بينَ الناسِ ولا يدومُ امرؤٌ على حالِهِ، وأعلَمَهُ أنَّهُ لا يملِكُ له من الله شيئاً إن أراد ضرَّه أو نفعَهُ فليشتري نفسَهُ منَ الله لتحسُن وتصلُح أمورَ دُنيَاهُ وآخِرَتَهُ.

بالعلم نرقى للمعالي..

لا تفتَخِرْ بمَالِكِ أو بوَلَدِكَ فقد تَفقِدَهُ بينَ عشيةٍ وضُحَاهَا..

لا تغترَّ بمَا عِندَكَ مِن أُعطِيَاتٍ فمَن يمنعُ الله عنكَ إنْ سَلَبَكَ إيَّاهَا..

لا تَنْخَدعْ بحقِيقَةِ الدنيا فكُلُّهَا فانِيَةٌ زَائِلَةٌ إنَّمَا تتزيَّنُ لتَفتِنَ أهلَهَا..

لا تقُلْ: لِي وعِندي، بل انسُبِ الفضائلَ لمَانِحِهَا يَدُمْ لك خيرُهَا..

تذكَّرْ أنَّ المولَى يُحِبُّ إذا أنعَمَ علَى عَبدِهِ نِعمَةً أن يحمَدَهُ عليهَا..

اقرؤوا حديثَ نبيِّكُم

« مَنْ أُعطِيَ خيراً من أهلٍ أو مالٍ، فيقول عندَ ذلك: ما شاءَ الله، لا قوَّةَ إلا بالله، لم يَرَ فيهِ مكروهاً » [ابن السنِّي].



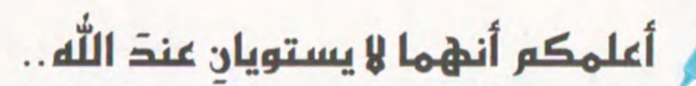


أهديكم طريقةً لتحصينِ مُمتلَكَاتِكُم..

ردِّدُوا ما علَّمَكُم ربُّكُم: ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾

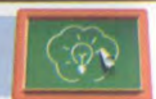
واحفَظُوا وصيَّةَ نبيِّكُم:

« ما أنعمَ الله على عبدٍ نِعمَةً من أهلٍ أو مالٍ أو ولدٍ فيقول: مَا شاءَ الله، لا قوَّة إلا بالله، فيرَى فيهِ آفةً دونَ الموتِ » [أبو يعلى].



أعلمكم أنهما لا يستويانِ عندَ الله..

كافرٌ بنِعَمِ الله مغترٌّ بدُنيَاهُ، ومؤمنٌ مُوحِّدٌ شَاكِرٌ لمَولاه، فأحسِنُوا الظنَّ بالله ولا يغتَرَنَّ أحدُكم بحِلمِ الله، وليجعلْ نفسَهُ في مَأمَنٍ من عقابِ الله ولا يعتَقِدْ بجَهلِهِ أن سينجو من عذابِ الله، فلا ينفَعهُ إلا عملهُ وإخلاصهُ وما نوى من فِعَالٍ ابتغاءَ مَرضاةِ الله، فلا يردِّد قولَ من ظنَّ الدنيا والآخرة له: ﴿ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [فصلت: 50]، بل يدعو بمَا علَّمَهُ نبيُّهُ في أحاديثِه وسُنَّته: « منْ قالَ حينَ يُصبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أصبَحَ بِي مِن نِعمَةٍ أو بأحَدٍ مِن خَلقِكَ فمِنكَ وَحدَكَ لا شريكَ لك، فلَكَ الحمدُ، ولكَ الشكرُ علَى ذلكَ؛ فقد أدَّى شُكرَ يَومِهِ، ومن قالَ مثلَ ذلِكَ حينَ يُمسِي فقد أدَّى شُكرَ لَيلَتِهِ » [البيهقي].



إشراقة

لا تُجرِّبْ كلَّ شيءٍ بنفسِك، واستَفِدْ من خبرةِ مَنْ سَبَقَك، فهو يُريكَ مآلَ عمَلك، فاختَرْ بيديكَ عاقبةَ أمرِك.

أعلمكم بحقيقةِ الشِّركِ وخُطورَتِه..

قَالَ تَعَالَىٰ:
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾

وأنَّهُ الذنبُ الذي توعَّدَ الله بألا يَغفِرَهُ، وصرَّحَ عن ذلك بقولِهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: 48]، وأنَّ لَهُ صوراً وأشكالاً منها أن يَعبُدَ الإنسان مع الله غيره، أو يجعلَهُ شريكاً ومُمَاثِلاً له في قَدرِهِ ومَكَانَتِه أو شبيهاً له جلَّ جَلالُهُ في صِفَاتِهِ وأفعَالِهِ، أو أن يرقَبَ ثناءَ الناسِ على أقوالِهِ وأفعَالِهِ، ويجعلَ مديحَهُم وإطراءَهُم غايتَهُ ومنالَهُ، وخسارتُهم أنهم سيبذلونَ جُهدَهُم في أفعالِهم ثم يُخَاطِبُهُم ربُّهُم يومَ القيامة عندما يُجزَى الناس على عملِهِم: « اذهبُوا إلى الذين كُنتُم تُراؤونَ في الدنيا بأعمَالِكُم، هل تجدونَ عندَهُم جزاءً؟ » [أحمد].



واسمَعُوا حديثَ نبيِّكُم

« تُعرَضُ أعمالُ بني آدمَ بينَ يدي الله عزَّ وجلَّ يومَ القيامَةِ في صُحفٍ مختتمَة، فيقولُ الله: ألقُوا هذا واقبَلُوا هذا، فتقولُ المَلائِكَةُ: يا ربِّ والله ما رَأينا منهُ إلا خيْرَاً! فيقولُ: إنَّ عمَلَهُ كانَ لغيرِ وَجهِي، ولا أقبلُ اليومَ مِنَ العَمَلِ إلا مَا أُرِيْدَ بهِ وَجهِي » [البزار].



بالعلم نرقى للمعالي:

قد تنبَّهتُ إلى خُطورةِ الشِّركِ وإحباطِه للعَمَلِ وذهاب أجرهُ وثوابهُ..

وسأُخلِصُ لله وحدَهُ سبحانَهُ النيَّةَ وأجعلُ أعمَالِي كلَّهَا في سبيلِه..

وأذكِّرُ نفسي بأنَّ الله لا يقبلُ مِنَ العَمَلِ إلا ما كانَ خالِصاً وابتُغِيَ بِهِ وجهُهُ..

وسأردِّدُ شِعَاراً وهو ما سأخْتُمُ به بياني في آخرِ السورةِ الكريمةِ..

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾

علَّمَتنِي قصَّةُ أصحابِ الجنَّتين

أنَّ العيشَ عيشُ الآخِرَة، وأنَّ الدنيا فانيةٌ زائلةٌ، وأنَّ عطاءَهَا ليسَ مَدعاة للتفاخُرِ، فقد يُصبِحُ الفقيرُ غنياً ويفتقرُ الغنيُّ بعدَ الكثرة، وأن استفاضَةَ المَالِ ليسَتْ سبباً للمُبَاهَاةِ، بل قيمَةُ الإنسانِ بعَمَلِهِ وإيمَانِهِ وتقوَاهُ وهذهِ مَوَازينُ المُفَاضَلَة، بدليلِ قولِهِ تعَالَى: ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾.



واقرؤوا قول ربِّكم

﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: 55].

ومثله قولُه سبحانَهُ: ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: 55-56].

علَّمتني قصَّةُ أصحابِ الجنَّتين

أنْ لا يتكبَّرَ الإنسانُ على مَن خلَقَهُ، وأنَّ مِن تُرابٍ أصلَهُ، وأنَّهُ مِن نُطفَةٍ خلَقَهُ فقَدَّرَهُ، وأنَّهُ قادرٌ على إحيائِهِ وبَعثِهِ بعدَ مَوتِهِ وهو أهونُ عليه من ابتداءِ خلقِهِ، فحريٌّ بالإنسانِ أن يَعبُدَ مَن أوجَدَهُ، وأحسَنَ خلقَهُ، ولا يُشرِك معَهُ غيره، بدليلِ قولِهِ تعالَى: ﴿ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ۝٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ۝٣٨ ﴾

واسمَعُوا إجابَةَ نبيِّكُم عندَمَا سُئِلَ: يا رسولَ الله، فيمَ النجاةُ غداً؟ قال: « لا تُخَادِعِ الله »، قيلَ: وكيفَ نُخادِعُ اللهَ؟ قالَ: « أن تعمَلَ بمَا أمرَكَ اللهُ بهِ، تُريدُ بهِ غيرَهُ، فاتقوا الرياءَ، فإنَّهُ الشِّركُ باللهِ عزَّ وجلَّ، وإنَّ المُرائِي يُنادَى بِهِ يومَ القيامَةِ على رؤُوسِ الخلائقِ بأربَعَةِ أسماءٍ: يا كافرُ، يا فاجرُ، يا خاسرُ يا غادرُ، ضلَّ عمَلُكَ، وبطلَ أجرُكَ، ولا خَلاقَ لك اليومَ عندَ اللهِ، فالتَمِسْ أجرَكَ ممَّنْ كُنْتَ تَعمَلُ لهُ يا مُخادِع »، وقرَأ قولَهُ تعالَى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠ ﴾ [أبو يعلى].



وليحذَرِ المُتكبِّر وعيدَ سيِّدِ البَشَرِ ﷺ: « لا يدخُلُ الجنَّةَ مَنْ كانَ في قَلبِهِ مِثقالُ ذرَّةٍ مِن كِبر »[مسلم].

علّمتني قصّةُ أصحابِ الجنّتين



إنَّ اللهَ تعالَى
عندَهُ خيرَي الدنيا
والآخِرَة، وقد يُعجِّلُ العقوبَةَ في الدنيا
ويُؤجِّلُ ما شاءَ إلى يومِ القيامة، وأنَّ العقوبَةَ ماديَّةٌ ومعنويَّةٌ
فقد جَنَى صاحِبُ الجنَّةِ خسارةً بدَلَ ثَمرٍ مُرتَقَبٍ بإشراكِهِ
بالمَولى، فكانَتْ حسرَتُهُ وندامَتُهُ أشدَّ من فُقدانِهِ لبُستَانِه
الأشبَهِ بالجنَّة، بدليلِ قولِهِ تعالَى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ ﴾.

واقرؤوا قولَ ربِّكُم

﴿ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴾ [النبأ: 26]؛ مُوافِقاً ومُماثِلاً لأعمَالِكُم، لهذا نبَّهَكُم نبيُّكُم بمَا روَى عن خالِقِكُم وهو أعلَمُ بكُم: « يا عبادي إنَّمَا هيَ أعمَالُكُم أُحصِيْهَا لكُم ثمَّ أُوفيكُم إيَّاها فمَنْ وَجَدَ خيراً فليَحمَدِ الله، ومَن وَجدَ غيرَ ذَلِكَ فلا يلُومَنَّ إلا نفسَهُ » [مسلم].



علَّمتني قصَّةُ أصحابِ الجنَّتين

إنَّ الإنسَانَ ليطغَى أنْ رآهُ استَغنَى، وأنَّ إلى ربِّك الرُجعى لتُجزَى كلُّ نَفسٍ بمَا تسعَى وأنَّ الآخِرَةَ خيرٌ وأبْقَى، ولن ينجُوَ إلا من اتخذَ عند الرحمَن عهداً، وسارَ على الخيرِ واهتَدَى، واتبَعَ نهجَ الهادي المُصطفَى، وعَمِلَ صَالِحَاً وأخلَصَ للمَولَى، فتولَّاهُ وأسعَدَهُ وكانَ بمِعيَّتِهِ لا يخَافُ دَركَاً ولا يخْشَى، بدليلِ قولِه تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾.

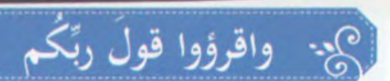
واقرؤوا قول ربِّكم

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الزمر: 11-15].

علَّمتني قصَّةُ أصحابِ الجنَّتين

الدنيا والآخرةُ ضرَّتَانِ لا تجتَمِعَان، فمَنْ أحبَّ دُنياه أضرَّ بآخرته، ومن أحبَّ آخرَتَهُ أضرَّ بدنياه إن لم يُحقِّقِ الاتزان، ومَن أبهرَتْهُ زينَةُ الدنيا عَمِيَ عن الآخِرَةِ والاستعداد لها، ومَن نظرَ إلى الآخرة بعينِ البصيرَةِ زَهِدَ في الدنيا وأدركَ تَقلُّبَهَا بأهلِهَا، فليَختَرِ المرءُ لنَفسِهِ إمَّا دارُ الخلودِ والبقاءِ أو دارُ الفناءِ والشقاءِ وليتذكَّرْ أنَّهُ مهمَا خُدِعَ لا بدَّ لها من خَاتِمَة، وبيده يُحدِّدُ مصيرَهُ في النهايَةِ، بدليلِ قولِهِ تعَالَى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾.





﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴾ [غافر: 84].

واسمعوا حديث نبيِّكم

« من كانَتِ الدنيا همَّهُ؛ فرَّقَ الله عليهِ أمرَهُ، وجعلَ فقرَهُ بينَ عينَيهِ، ولَم يَأتِهِ منَ الدنيا إلا مَا كُتِبَ لَهُ، ومَنْ كانَتِ الآخِرَةُ نيَّتَهُ؛ جمَعَ الله لَهُ أمرَهُ، وجعلَ غِنَاهُ في قَلبِهِ، وأتَتْهُ الدنيا وهيَ رَاغِمَة » [أحمد].

من كانَتِ الدنيا همَّهُ:

1 - فرَّقَ الله عليهِ أمرَهُ.

2 - جعلَ فقرَهُ بينَ عينَيهِ.

3 - لَم يَأتِهِ مِنَ الدنيا إلا مَا كُتِبَ لَهُ.

مَنْ كانَتِ الآخِرَةُ نيَّتَهُ:

1 - جمَعَ الله لَهُ أمرَهُ.

2 - جعلَ غِنَاهُ في قَلبِهِ.

3 - أَتَتْهُ الدنيا وهيَ رَاغِمَة.

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾

المقطع الخامس

كلماتي

﴿ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ ﴾: امتزَجَ الماءُ بالترابِ فأنبتَ نباتاً حسناً.

﴿ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾: صارَ أجزاءاً مُتفرِّقَة مُتهشِّمَة تنثُرُهَا الرياحُ وتجعَلُهَا أشتاتاً مُوزَّعَة.

﴿ وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾: خيرُ ما يَأمَلُهُ العبدُ ويَرجُوهُ مِن رَبِّهِ مِن خيرَي الدنيَا والآخِرَة.

معلوماتي



أعلمكم عن حقيقةِ الدنيا..

وأضربُ لكُم مِثَالاً لتشبيهِ صُورَتِهَا وتقريبِهَا إلى أذهَانِكُم، فدورةُ الحياةِ مُتَمَاثِلَةٌ، مِن عَدَمٍ إلى وجودٍ ثم فناءٌ وهلَكَةٌ، ثمَّ النشأةُ الأخرى للحسابِ والجزاءِ يومَ القيامة، وكذا ماءُ الغيثِ المُنهَمِرِ علَى الأرضِ يُحيلُهَا سُهولاً ومروجاً، ثمَّ تهُبُّ عليهَا عَاصفةٌ تُفنِيهَا عن بِكرَةِ أبيهَا فتعُود وكأنَّهَا لَمْ تكُ شيئاً مذكوراً، صَانعُ ذلِكَ كله صَاحِبُ القُدرَةِ المُطلَقَةِ جلَّ وعَلا..

اقرؤوا قول ربكم

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[يونس: 24].



بالعِلم نرقى للمعَالي..

أعلَمُ قُدرةَ الله تعَالَى علَى الإنشاءِ والإفنَاءِ، فلا شيءَ يدومُ إنَّما الآخِرَةُ هيَ دارُ البقَاءِ، ولا عُسرٌ ولا يُسرٌ يستمرُّ ولا كَربٌ ولا هَناء، بل تقلُّبٌ وتغيُّرٌ وتبدُّلٌ هكَذَا سُنَّةُ الله في الحياةِ، فهَل مِن مُتَّعِظٍ قبلَ الشَّقَاءِ؟

يا ترى.. ما وجهُ الشبهِ بينَ الدنيا والمَاء الذي شُبِّهت به..



كلاهما لا يستقرُّ في مَوضِعٍ ولا يدومُ علَى حالَةٍ وَاحِدَةٍ..

كلاهما يذهبُ ويَجيءُ ولا يبقى ثَابِتاً على وضعيَّةٍ راسِخَةٍ..

كلاهما لا يُسلَمُ منه مِن تعمُّقٍ فيه.. فيَبتلّ بالمَاءِ أو يغرَق بشهَوَاتِ الدنيا..

كلاهما ينفَعُ بقَدَرٍ فإذا تجَاوزَهُ أهلكَ وأفسدَ وطغَى..

كلاهما يُفرَحُ بقُدُومِهِ لكنْ إذا لم يُحسَنِ استخدَامُهُ مُحِقَ وأفنَى..

كلاهما سبيلٌ للعَيشِ في الدنيا دونَ أن يُتجَاوَزَ به الحدودُ المُتاحَةَ..

كلاهما يتوجَّهُ حيث وجَّهْتَهُ ويكون لصاحبِهِ خيراً أو هلاكاً مُحتَّماً..

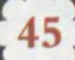


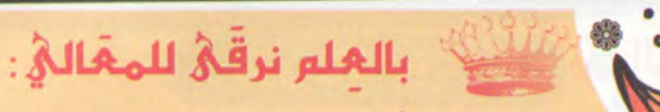
اقرؤوا قول ربكم

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [الحديد: 20].

أعلمكم أنَّ الدنيا على حقيقتِها...

وتزعمُ أنها تَنصَحُ أهلَهَا، لكنَّها خدَّاعَةٌ غرَّارَةٌ تتزيَّنُ لهُم بمَفَاتِنِهَا، وهيَ على يقينٍ أن زينَتَهَا فانيةٌ معَهَا، وأنَّ كلَّ ما فيها كَثُرَ أو قَلَّ لهُ مُدَّةُ مُكثٍ وبَقَاءٍ فيها، وفيهَا بَاقِيَاتٌ صَالِحَاتٌ سيأتِي بيانُهَا لمَنْ رامَ أن يتزوَّدَ منهَا.

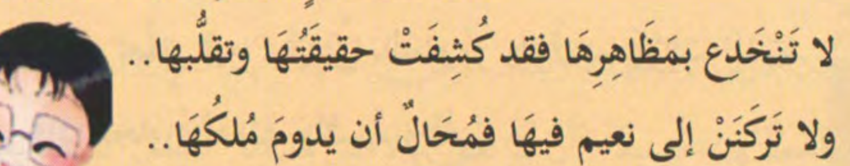




بالعلم نرقى للمعالي:

إن كنتَ مُؤمناً فازهَد في الدنيا واترُكهَا لأهلِهَا..

وكُنْ علَى يقينٍ بزوالِ كلِّ مَا فيهَا ومَنْ عليهَا..



لا تَنْخَدِعْ بمَظَاهِرِهَا فقد كُشِفَتْ حقيقَتُهَا وتقلُّبها..

ولا تركَنَنْ إلى نعيمٍ فيهَا فمُحَالٌ أن يدومَ مُلكُهَا..

لا تنفُر منها وتهجُرهَا بل اجعلهَا مطيَّةً صَالِحَةً تتزوَّدُ منهَا.. وليَكُن حالُكَ كفَهمِكَ لقولِ ربِّكَ وتدبُّرِكَ للآياتِ وفَهمِهَا: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: 201].



أعلمكم بمثالٍ من الأمورِ الزائِلَةِ التي تعتَقِدُونَهَا متاعاً وزينةً..

وفي حقيقَتِهَا ابتلاء واختبار لأهلِ الدنيا، فمن تعلَّقَ بهَا خَسِرَ الدنيا والآخِرَة، كالمالِ والأولادِ كمثالٍ علَى أشكالِ الزينةِ الأخرَى، فلا تغرنَّكُم الحياةُ الدنيَا..

اقرؤوا قول ربكم

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: 14].

زينة الحياة الدنيا

سأرشدكم كيف نتعامل معها..



نُدركُ حقيقَتَهَا وخِداعَهَا لأهلِهَا فلا نستَسلِمُ لمُغرَيَاتِها..

نأخذُ منها بالقدرِ الذي أبَاحَهُ الله من طيِّبَاتِها وحَلالِهَا..

نترُكُ ما حَرمَ أو كُرِهَ ولا نقبَلْهُ مهمَا تحلَّى وتزيَّنَ بهَا..

نرضَى بمَا قُسِمَ لنَا ولا نُعَلِّقُ قلُوبَنَا بما يُضلُّنَا منهَا..

نَسعَى دوماً للآخِرَةِ لأنَّ المقامَ والفضلَ والعطاءَ كلٌّ فيهَا..

نجعَلُهَا وِجهَتُنَا ومقصَدنا وغايَتُنا التي سنَصِلُ حتماً إليهَا..

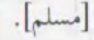
نختارُ ما يضمَنُ لنا السلامَةَ والنجاةَ في جنانٍ نطمَحُ لهَا..

واقرؤوا قول ربكم

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: 18-20].

وفي ضَوئِهِ نفهَمُ قولَ النبيِّ عليهِ صَلَوَاتُ ربِّي وسَلامُهُ:

« قدْ أفلَحَ مَنْ أسلَمَ، ورُزِقَ كفَافاً، وقنَّعَهُ الله بمَا آتَاهُ »



[مسلم].

عودٌ على بدءٍ..

ليكُن في معلومِ أشرافِ قُريشٍ وسَادَتهُم، أنَّ الذين ينظُرُونَ إليهم بازدراءٍ ويعتبرُونَهُم ضعافَ المُسلمينَ وفُقَرَاءَهُم، أفضلُ حالاً عندَ الله منهُم، فلا يَقصِرُوا نظرَهُم على إقتارِ عَيشِهِم في الحَيَاةِ، فليسَتْ مِضمَارُ التفاضُلِ بينَهُم، وعطاءُ الآخِرَةِ لمَنْ صَلُحَ مِنهُم، وكمَا قالَ ربُّهم:

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: 24].

الموفَّقُ في حيَاتِهِ من يزهَدُ في الحياةِ وإنْ كانَتْ قريبةً ولا يجهد نفسَهُ فيهَا، ويلتَفِتْ للآخرةِ التي فيها مُستَقرُّه ويسعَى إليها، ويتيقَّنُ أنَّهُ لنْ يجمَعَ بينَهُمَا مهمَا بذلَ فيهَا، وهذا مُوجَزُ قولُ ربِّي عنها:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: 20].

الباقيات الصالحات

وما هي الباقياتُ الصالحاتُ..

الباقيات: هيَ مَا يبقَى للمرءِ ثوابُهُ وخيرُهُ، **والصالحات:** ما حَسُنَ من نيَّتِهِ وقَولِهِ وفِعَالِهِ..

الباقياتُ الصالحاتُ: كلُّ أنواعِ البرِّ والطاعَاتِ وأبوابِ الخيرَاتِ، وهنَّ المُنجيَاتُ في الحياةِ وبعدَ المَمَاتِ..

الباقياتُ الصالحاتُ: ما يَجنيهِ المرءُ ويدَّخِرُهُ في صحيفةِ أعمَالِهِ ويفرحُ بأجرِهِ يومَ يلقَى ربَّهُ ويُجَازِيهِ عليهِ.





اسمعوا حديثَ نبيِّكم

« استَكثِرُوا مِنَ البَاقيَاتِ الصالحاتِ »، قيلَ: وما هيَ يا رسولَ الله؟ قالَ: « التكبيرُ والتهليلُ والتسبيحُ والتحميدُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله » [الحاكم].

ويؤكِّده قولُه ﷺ: « لقيتُ إبراهيمَ ليلَةَ أُسريَ بِي، فقالَ: يا مُحمَّدْ، أقرِئ أمَّتَكَ منِّي السلامَ، وأخبِرهُم أنَّ الجنَّةَ طيِّبَةُ التربَةِ، عذبَةُ المَاءِ، وأنَّها قِيعَانٌ، وأنَّ غِرَاسَها: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا الله، والله أكبَر » [الترمذي].

فاعمَلُوا بوصيَّةِ نبيِّكُم ففيهَا فَوزُكُم وسعَادَتُكم كمَا أرشَدَكُم:

« خذوا جُنَّتَكُم مِنَ النارِ، قولُوا: سُبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا الله، والله أكبر؛ فإنَّهنَّ يأتينَ يومَ القيَامَةِ مُنجيَات ومُقدِّمات و مُعقِّبَات، وهنَّ الباقياتُ الصالحات » [النسائي].

بالعِلم نرقَى للمَعَالِي:

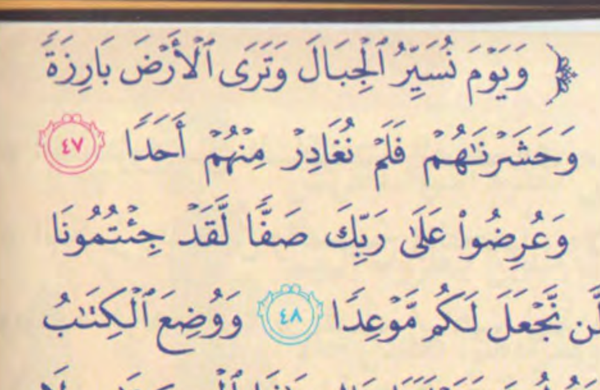
ما مِن شيءٍ أنجَى عندَ الله يومَ القيامَةِ مِن كثرةِ ذكرِهِ..

يجعلُ العبدَ مرضيًّاً محمُوداً وله من يُذكِّرُ به عند ربِّهِ..

يثقلُ الميزانَ ويُرضِي الرحمنَ ويُورِثُ الجِنانَ ويشفَعُ لقَائِلِه..

اسمعوا حديثَ نبيِّكم

« وأكثِري من ذكرِ الله، فإنَّكِ لا تأتينَ الله غداً بشيء أحبَّ إليه من كثرَةِ ذِكرِهِ » [الطبراني].



﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾



المقطع السادس

كلماتي

﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ ﴾: **دلالةً على اصطِفَافِ الناسِ وقوفاً بين يدي الله سُبحانه، لا ليعرِفهم إنّما ليُحَاسبهم ويُوفِّيهم جزاءَ أعمَالِهم.**

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾: **صحيفَةُ أعمَالِه، كتابُ الحسناتِ يلقَاهُ بيمينِه، وكتابُ السيِّئَاتِ يُؤتَاهُ بشِمَالِه.**

معلوماتي

أعلمكُم عن حالِ يومِ القيَامَةِ..

حيثُ تزولُ الجبالُ مِن أمَاكِنِهَا بعدَ أنْ كانَتْ شَامِخَةً راسيَةً، وتمدُّ الأرضُ لتُصبِحَ صعيداً واحداً كأنَّها مُستوية، وتتهيَّأُ لاستقبالِ النَّاسِ الذين بُعِثُوا مِن رقادِهِم وحُشِرُوا إليها؛ ليُحَاسَبُوا ويُسأَلوا عمَّا عَمِلُوا دونَ أن يتخلَّفَ أو يتغيَّبَ منهم أحدٌ.

اقرؤوا قولَ ربِّكُم

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ [طه: 105-107].

اسمعوا حديثَ نبيِّكُم

« يُحشَرُ الناسُ يومَ القيامَةِ علَى أرضٍ بيضَاءَ عفْرَاءَ كقرصة النقيِّ ليسَ فيها مَعلَمٌ لأحَدٍ » [البيهقي].

وماذا عن حالِ الأرضِ يا رسولَ الله؟ « تُمَدُّ الأرضُ مَدَّ الأديمِ – ظاهرَ الأرض– لعظمَةِ الله عزَّ وجلَّ، فلا يكون لرجلٍ مِن بني آدمَ فيها إلا مَوضِعُ قَدَمَيه » [الحاكم].

وماذا أخبرَنا صحابَةُ رسولِ الله ﷺ ممّا سَمِعُوهُ مِن أشرَفِ خلقِ الله ﷺ..

عن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قالَ: « إذا كانَ يومُ القيامَةِ مُدَّتِ الأرضُ مَدَّ الأديمِ، وحشرَ الله الخَلائقَ الإنس والجن والدوَاب والوحوش فإذا كانَ ذلك اليوم جعلَ الله القِصَاصَ بين الدوابِّ، حتى يقص الشاةُ الجمَّاء من القرناءِ بنطحَتِهَا، فإذا فَرَغَ الله من القِصَاصِ بين الدوابِّ، قال لهَا: «كُوني تُرَاباً »، فتكون تراباً فيراها الكافِرُ فيقولُ: يا ليتَنِي كنتُ تراباً » [الحاكم].



هل تعلَم أنَّ الحَشرَ ليسَ قَصراً علَى بني الإنسان..

بل كلُّ المخلوقاتِ من طيرٍ وحيوانٍ، كما جاءَ في قولِ الرحمَن:

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: 38].







أدرِكُ قُدرةَ اللهِ على تبديلِ المَلامِحِ الكونيَّةِ..
وعلى إتيانِهَا بما يتنَاسَبُ معَ الظروفِ الحاليَّةِ..
فللدنيا صِفَاتُها وليومِ القيامة هَوْلٌ ومَطْلَعٌ وخُصُوصيَّة..
كلُّ ما أراهُ اليومَ بأُمِّ عيني من الظَوَاهِرِ الطبيعيَّة..
سيُؤتَى بغيرِهِ ويتهيَّأُ الكُلُّ للبَقَاءِ في الحياةِ الأبَدية..
لا مَفَرَّ.. هي جنَّةٌ أبداً أو نارٌ أبداً.. نتيجَةٌ حتميَّة.....

اقرؤوا قولَ ربِّكم

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام: 94].

أعلمكم بأنَّ الحشرَ

هو سَوْقُ الخلائقِ كلِّها للحسابِ والجزاءِ، وهو مرحلةٌ تَعقِبُ البعثَ من الموتِ والخروجَ من الأجداثِ دُونَ عَناءٍ، ثمَّ جَمعَهُم ليبدَأ بسُؤالِهِم ربُّ السماء، فيَقِفُونَ صُفوفاً بين يديه ويتيقَّنُ المُنكِرُونَ أنَّهُ اللِّقاء..

اقرؤوا قولَ ربِّكُم

﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الواقعة: 49-50].

زعمَ الذين كفَرُوا أن لَن يُبعَثوا..

جهلَ الجاحدون حقيقةَ القيامَة، وعدُّوها موتةً واحدةً وقالُوا: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ [الدخان: 35]..

وحَسِبُوا ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ [المؤمنون: 37]..

واعتَقَدُوا ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ [الجاثية: 32]..

فجاءَهُم الذي كانوا يستَبعِدُون ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الجاثية: 33]..

وأتاهُم الردُّ الصريحُ: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: 7].



استنتِجُوا معي التفاوت في الحشر..

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم: 85]... ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه: 102].

أو كمَا قال ﷺ: « يُحشَرُ الناسُ يومَ القيامَةِ ثلاثَةَ أصنافٍ؛ صنفاً مُشاة، وصنفاً رُكبَاناً، وصنفاً على وُجُوهِهم إنَّ الذي أمشاهُم على أقدَامِهِم قادرٌ على أن يُمشِيهِم علَى وُجُوهِهم »[الترمذي].

أعلمكُم بإقامَةِ الحُجَّةِ علَى العالَمين..

حينَ يُحشَرُ الناسُ قياماً ليَومِ الدين، حُفاةً عُراةً خائِفينَ فَزِعين، مُضطربين ينتظرون أن يُفصَلَ بينَ الخلائقِ أجمعين..

واسمَعُوا حديثَ نبيِّكم

« يُحشَرُ الناسُ يومَ القيَامَةِ حُفاةً عُراةً غُرلاً كما خُلِقُوا » ثمَّ قرأَ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: 104]، [الترمذي].

يومئذٍ تعرَضونَ لا تخفَى منكم خافية..



اقرؤوا قولَ ربِّكم

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: 22].

يا عبادي

اسمعُوا حديثَ نبيِّكم

« إنَّ الله تبارَكَ وتعالَى يُنادي يومَ القيامَةِ بصَوتٍ رَفيعٍ غيرَ فَظيع: يا عبادي أنا الله لا إلَهَ إلا أنا أرحمُ الراحمين وأحكَمُ الحاكمين وأسرَعُ الحَاسبين، يا عبادي لا خوفٌ عليكُم اليوم ولا أنتُم تحزَنُون، أحضِرُوا حُجَّتَكم ويَسِّروا جوَاباً فإنَّكم مسؤولون مُحَاسَبُون، يا ملائكتي أقيمُوا عبادي صُفُوفاً علَى أطرافِ أنامِلِ أقدَامِهِم للحسَابِ» [القرطبي].

أعلمكم بما سيكونُ بعدَ الحَشرِ والسؤالِ..

مِن وقوفٍ بين يدي الربِّ المُتَعَالِ، ثم تتطايَرُ الصُحُف وتُبلَى السرائِر، فمَا للكافرينَ من قوَّةٍ ولا ناصر، ويَجِدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً، محفُوظاً مُدوَّناً، صغيراً وكبيراً، علانيةً أو سراً، أحصاهُ الله ونَسُوه والله على كلِّ شيءٍ شهيد.

اعلموا الحادثةَ التالية مِن السيرة الشريفةِ المطهَّرة..

حينَ نزلَ النبيُّ ﷺ وصحبُه قفراً من الأرض ليسَ فيه شيء، فقالَ ﷺ: « اجمَعُوا من وجدَ عوداً فليأتِ به، ومن وجدَ حطباً أو شيئاً فليَأتِ به » قال: فمَا كانَ إلا ساعةً حتَّى جعلنَاهُ رُكاماً، فقالَ ﷺ: « أتروْنَ هذا؟ فكَذلكَ تُجمَعُ الذنوبُ على الرجلِ منكم كما جَمَعْتُم هذا، فليتقِ الله رجلٌ ولا يُذنب صغيرة ولا كبيرة، فإنَّها مُحصَاةٌ عليه » [الطبراني].

اقرؤوا قول ربِّكم

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ﴾ [آل عمران: 30].

تصوَّروا معي مشهدَ الآخرة..

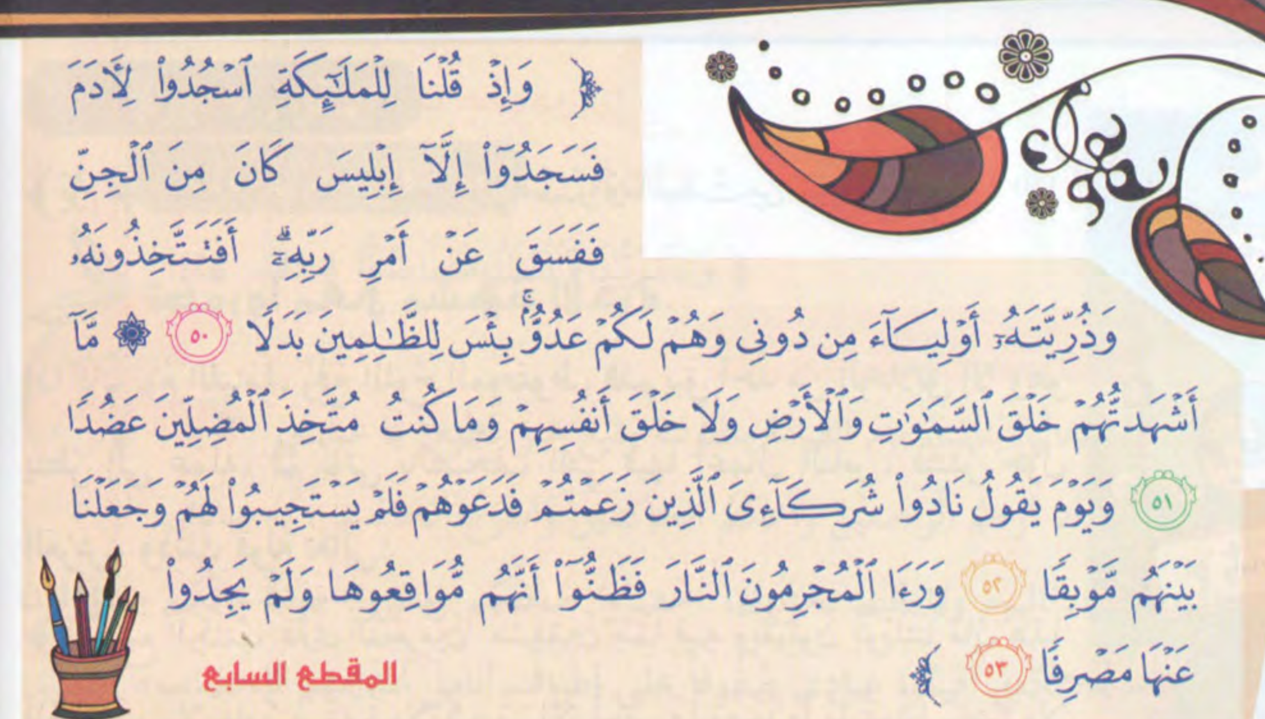
إذا كانَ يومُ القيامَةِ، رُفِعَ اللوحُ المحفوظ، فلم يبقَ أحدٌ من الخلائق إلا وهو ينظُرُ إلى عمَلِه، ثمَّ يُؤتَى بالصحُفِ التي فيها أعمالُ الناسِ، فتُنثَرُ حول العَرْشِ، وذلِكَ قولُهُ تعالَى:

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

ثمَّ يُدعَى المؤمنُ، فيُعطَى كتابَهُ بيمينِهِ، فينظرُ فيه، فإذا حسنَاتُهُ بَادِيَاتٌ للناسِ، وهو يقرأُ سيئاتِهِ لكيلا يقول: كانَتْ لي حسناتٌ، فلَم تُذكَر، فأحبَّ الله أن يُرِيَهُ عملَهُ كلَّه، حتَّى إذا استَنْقَصَ ما في الكتاب وجَدَ في آخرِ ذلك كلِّهِ أنه مغفورٌ، وأنَّه من أهلِ الجنَّةِ فعندَ ذلك يُقبِلُ إلَى أصحَابِهِ ثمَّ يقولُ: ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة: 19-20].

ثمَّ يُدعَى بالكافِرِ، فيُعطَى كِتَابَهُ بشِمَالِهِ، ثم يلفُّ، فيُجعَلُ مِن وراءِ ظَهرِهِ، ويُلوَى عنقُهُ فذلك قولُه: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴾ [الانشقاق: 10]، فينظرُ في كتابه، فإذا سيئاتُهُ بَادِيَاتٌ للناسِ، وينظُرُ في حسنَاتهِ، لكيلا يقول: أفَأُثَابُ على السيئاتِ.





﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾

المقطع السابع

كلماتي

﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾: خرجَ عن طاعَتِه وخَالَفَ أمرَهُ.

﴿ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾: مُستعينٌ بهم وطَالِبٌ نُصرَتَهُم وتأييدَهُم.

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾: مهلكاً واقعُونَ فيه جميعاً، لا يستطيعون الخروجَ منه.

﴿ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾: أيقَنُوا أنَّهُم داخِلُوهَا ومَحجُوزُون فيهَا.

﴿ وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾: ليسَ لهُم مَكانٌ آخَر ينصرفون ويَفِرُّونَ إليه هرباً من العذابِ المُحيطِ بهِم.



معلوماتي

أعلمكم بالأصلِ الإبليسيِّ للتكبُّرِ..

وأنَّ لمَنْ يتعالَى مِن قُريش وغيرها مَثَلٌ أكبَر، لمَّا أمَرَهُ الله بالسجود لآدمَ فتَعالَى واستَكْبَر، وخالَفَ أمرَ الله وطغَى وتجبَّر، فكانَ عَاقِبَتُهُ الإنظارُ إلى يومِ القيامة ثم إلى النار يُحشَر، ومعه مَنْ مَشَى على طريقِهِ ولم يُطِعَ الله الأقدَرْ، ولم يَستَمِعْ إلى قولِهِ في مُحكَمِ الذِّكر: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: 6].

بالعلم نرقَى للمعَالي..

أدركُ أنَّ في القِصَص القرآني عِظَةٌ وعِبْرَة..

وأنَّ المولى يُعطِينَا خُلاصَةَ تَجَارُبِ الأُمَمِ السابقة..

وأنَّ إبليسَ المُعَانِد سيكون له أولياءَ علَى نفسِ الشاكلة..

وأنَّ جهنَّم مَوعِدُهُم أجمعين جزاءَ التكبُّرِ والمُخَالَفَة...

وأنَّ التعالي والاستكبارَ والإعجابَ بالنفس كُفْرٌ حتميُّ العَاقِبَة...

وأنَّ مَن يدعو معَ الله إلهاً آخرَ مُشرِكٌ مُخلَّدٌ في النار لا مَحالَة..

اقرؤوا قولَ ربِّكم



﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: 34].

أعلمكم عن التوبيخِ الإلهيِّ الذي يستحِقُّهُ مَن خَالَفَ أمرَ ربِّهِ..

واتبَعَ الشيطانَ وصارَ من أعوَانِهِ، وتجَاهَلَ عداوَتَهُ لبني الإنسان وغِوَايتَهُ وإضلاله، فإن ادَّعى أن له القُدرة المُطلقَةَ فليأتِ بالحُجَّةِ علَى زَعمِهِ وافتِرَائِهِ، لكنَّهُ فُتِنَ ورَضِيَ بالأقلِّ الأسفَلِ؛ فالنارُ مَثوى له ولأمثَالِهِ، جزاءَ تعَاليهِ عن الإذعانِ للحقِّ والانصياعِ لَهُ.

اعلموا أنَّ السجودَ لآدم.. تشريفاً وتكريماً..

لا تعظيماً وتقديساً، فالله لم يأمُر بالسجودِ إلا للواحدِ المَعبودِ..

قصة
آدم
عليه السلام

علَّمتني قصَّةُ آدمَ عليه السلام

العداوةُ أزليَّةٌ بينَ بني الإنسان والشيطان وأعوانِه من الجان، وهي باقيةٌ مُستمرَّةٌ لن يصطلحوا ويصبحِ بينَهُم عهودُ ودٍّ وإحسان، وأنَّ الشيطان الذي يُوسوِس للإنسان ويُغويه سيتبرَّأُ منه يوم القيامَة وينسبُ السوءَ إليه، وقد جاءَ ذلك مُفصَّلاً بصريحِ لفظِ القُرآن: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم:22].

ليسَتْ طُرفَةً بَل حَقِيقَة..

هل للشيطانِ زوجَة؟ إذاً فمِنْ أينَ أتَتِ الذُريَّة؟؟

إنَّهُم حتماً أمثالُهُ علَى نَفسِ الشاكِلَة...

علَّمتني قصَّةُ آدمَ عليه السلام

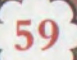
طاعَةُ الشيطانِ ومُخالَفَةُ الرحمَن كانَتْ سببَ الخروجِ من الجنَّة، ثم دأبَ على غِوَايةِ الناس وإضلالِهم وإقصائِهِم عن دروب الطاعَة والاستقامة، ولا خَلاصَ منه إلا بالمُخالَفةِ والمُجاهَدَة، ثم التحصُّن بالأدعيةِ والأذكارِ لا سيَّما الاستعاذة.

اقرؤوا قول ربكم

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [يس: 60-64].

ماذا ستعلِّمُنا يا رسولَ الله ﷺ ؟

العبادةُ سبيلُ النجاةِ والسلامَة، والتعوُّذُ بكلماتِ الله التامَّة، مِن كلِّ شيطانٍ وهَامة، ومِن كلِّ عَينٍ لامَّة كَمَا جاءَ في الأحاديثِ الصحيحة: « إذا قرأَ ابنُ آدمَ السجدةَ، اعتزلَ الشيطانُ يبكِي، يقولُ: يا ويلَه! يا ويلَه! أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسجودِ فَسَجَدَ فلَهُ الجنَّة، وأُمِرْتُ بالسجودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النار » [ابن حبان].



أعلمكُم بحالِ الشركاءِ الذين يعبُدُونَهم مع الله ويتخذُونَهم أنداداً..

أنَّهُم لن يُغنُوا عنهم شيئاً، بل إنَّهُم لا يَملِكُونَ لأنفُسِهِم ضرًّا ولا نَفعًا، وأنَّ كلَّ ما في الكون يجري بمشيئَةِ الله وقُدرَتِه المُطلَقَة، لا رَادَّ لقَضَائِه ولا مُعطِيَ لمَا مَنَعَ ولا مَانِعَ لمَا أعطَى، فليَستيقِظِ المُشركُونَ من غَفلَتِهِم ويقصِدُوا بابَ التوحيدِ الخالِصِ للمَولَى.

اقرؤوا قولَ ربِّكم

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: 40].

أعلمكُم أنَّ هؤلاءِ الشركاءِ الذين تدعُونَهُم مِن دونِ الله..

ستتبعونَهُم يومَ تتبَعُ كلُّ أُمَّةٍ مَا كانَتْ تعبُدُ في الدنيا، لكنَّهُم لن يستطيعوا صَرفَ العذابِ عنكم ولا تحويلاً، فليسوا لكم بمُعينٍ ولا نَاصِرٍ مهما استَغَثْتُم بهم فلن يُلَبُّوكُم أبداً، وستُسَاقُونَ وإيَّاهُم إلى جهنَّمَ وساءَتْ مَصيراً..

اقرؤوا قول ربِّكم

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴾

[القصص: 62-64].

بالعلم نرقى للمعالي:

الله خالقُ كلِّ شيءٍ وهو الوَاحِدُ القهَّار..

خلقَ السمواتِ والأرضَ بالحقِّ وسخَّرَ الشمسَ والقمرَ والليلَ والنهار..

ما كانَ معَهُ من إلَهٍ ولا مُعينٍ بل وحدَهُ سُبحانَهُ العزيزُ الغفَّار..

ذو القُدرَةِ المُطلَقَةِ بلا شريكٍ ولا شبيهٍ ولا مثيلٍ فتعالَى المَلِكُ الجبَّار..

فلا نَطرِقُ إلا بَابَهُ ولا نرجو مِن سِوَاهُ الفضلَ والخيرَ والغَيثَ بالأمطار..

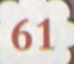
مِنْهُ تُستَمْطَرُ الرحمَاتُ وإليهِ تُرفَعُ الأكُفُّ بالدعوَاتِ فيستجيبُ بحَمْدِهِ ويختار..

فاعبُدْهُ وتوكَّلْ عليهِ ولا تَقصِدْ سِواهُ فتَضِلَّ وتَفقِد سبيلَ الأخيَار..

ولا تَستَعِنْ بغَيْرِهِ وتأمَلْ منه فالمُجيبُ هوَ اللهُ وحدَهُ دون وَسيطٍ وأنصَار..

واقرؤوا قول ربكم

﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: 94].



أعلمكم أنَّ الناسَ سيعاينونَ الأمورَ الغيبيّة بأنفسهم..

فيرونَ الجنَّة والنار بأمِّ أعيُنِهم، ويُعايِنُونَ النعيمَ والشقاءَ ويُدركُونَ أنَّهُ حَتْمٌ لازِمٌ لهم، فينسَى المؤمنون مشقَّةَ الدنيا وعناءَها بإطلالةٍ على نعيمِ الجِنَان، ويُدرِكُ الكفَّارُ عاقِبَةَ التهاوُنِ بلفْحَةٍ من النيران، أو بنَظرةٍ إلى ما سيؤُولُونَ إليه من الخُسران، أو كما قالَ العدنانُ: « إنَّ الكافِرَ ليَرى جهنَّمَ، فيظنُّ أنها مُواقِعَتُهُ من مسيرةِ أربَعين سنَة » [أحمد].



اقرؤوا قول ربكم

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: 11-14].

اسمَعُوا حديثَ نبيِّكم

« يُؤتَى بأنْعَمِ أهلِ الدنيا مِن أهلِ النارِ يومَ القِيامَةِ، فيُصبَغُ في النار صِبغةً، ثم يُقالُ: يا ابنَ آدمَ هل رأيْتَ خيراً قط، هل مَرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقولُ: لا والله يا ربِّ، ويُؤتَى بأشدِّ الناسِ بُؤسَاً في الدنيا من أهلِ الجنَّةِ، فيُصبَغُ صِبغَةً في الجنَّةِ، فيُقالُ له: يا ابنَ آدمَ هلْ رأيت بُؤسَاً قط، هل مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قط؟ فيقولُ: لا والله يا ربِّ ما مَرَّ بي بُؤسٌ قط، ولا رأيْتُ شِدَّةً قط » [مسلم].

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾

المقطع الثامن

كلماتي



﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾: **ذكَرْنا وبيَّنا فيهِ مِن كلِّ الآياتِ والعِبرِ المُعجزات ذاتِ الدلالات والعِظَات.**

﴿ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾: **أصنَافاً وأشكالاً، ألواناً وأنواعاً مُتفاوتة يلقونَها جزاءَ أعمالِهم المُسبَقة.**

﴿ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾: **ليُحَاوِلُوا أن يزيلوهُ ويحجِبُوا أنفسهم أو غيرهم عن قَبولِهِ والانصياعِ له.**

﴿ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾: **لن يجدُوا لهم مَلجَأ ولا منجَى من عذاب الله يوم ينزلُ بهم.**

معلوماتي

أعلمكُم بفضلِ آياتِ الرحمَن..

وما ينزلُ فيها من أنواعِ الذكرِ نذيراً وبشيراً لبَني الإنسان، وفي تنويعِهَا عبرةٌ وفي تفاوُتِ أسلوبِهَا مُعجزةٌ، وفي شمولِهَا وإحاطَتِها بكلِّ الأحوالِ الدنيويَّةِ والأخرويَّةِ نورٌ ورشدٌ وهداية.

واسمعُوا حديثَ نبيِّكُم

« كتابُ الله، فيه نَبأُ ما قَبلَكم، وخَبَرُ ما بعدَكم، وحُكْمُ ما بينَكم، هو الفَصْلُ ليس بالهَزْل مَن تَرَكَهُ من جبَّارٍ قَصَمَه الله، ومَن ابْتَغَى الهُدَى في غيره أضلَّه الله، وهو حَبْلُ الله المتين، وهو الذِّكْرُ الحكيم، وهو الصراطُ المستقيم، وهو الذي لا تَزيغُ به الأهواءُ، ولا تَلْتَبسُ به الألْسِنَةُ، ولا يَشْبَعُ منه العلماءُ، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرَّدِّ، ولا تنقَضِي عجَائبُه، هو الذي لم تَنْتَهِ الجنُّ إذْ سَمِعَتْهُ حتَّى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾ [الجن: 1-2]، مَن قالَ به صَدَقَ، ومَن عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَن حكَمَ به عَدَل، ومَن دَعَا إليه هُدِيَ إلى صِراطٍ مُستَقِيم » [الترمذي].

أعلمكُم بحالِ الكفَّارِ الذين لم تنفَعهم المُعجزات..

ولا الدلالات الواضِحَات، وزادوا إعراضاً واستكباراً عن لزومِ الطاعات، مع أنَّهُم مَنْ طلب البيِّنَةَ لكنه طلبُ استِنكَارٍ واستِبْعَاد، دليلاً على ما في نفوسِهِم من الضلالِ والعِنَاد، فلن تنفَعُهم ولن تدلُّهم على سُبُلِ الرشَاد.

واقرؤوا قول ربكم

﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: 32].

أعلمكم أنَّ المولى قد أقامَ الحُجَّةَ عليهِم..

وجاءَهُم بخبرِ الأممِ التي سَبَقَتْهُم، وأنذَرَهم من مصيرِهم وعَاقِبَتِهم إذا خالَفُوا رُسُلَهُم وأعرَضُوا عن شَرعِ ربِّهم، ثم يقولُوا كما وَرَدَ على لسانِهم: ﴿ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [العنكبوت: 29]، لكنَّهُ سبحانَهُ بِحِلمِهِ أمْهَلَهُم، وأخَّر عذابَهُم كرامةً لوجودِ الرسولِ ﷺ بين أَظْهُرِهِم، ثم يؤاخِذُهم بظُلمِهِم وكُفرِهِم.

الله سبحانَهُ بحلمه أمْهَلَهُم



بالعلم نرقى للمعالي..

لن يَجِدَ امرؤ مُؤمِنٌ أو غيرُه مثلَ كتابِ الله وما حَوَى.

هو المعجزةُ الخَالِدَةُ إلى يومِ يُبعَثُ الوَرَى..

كلٌّ يَجِد فيهِ مبتغَاهُ وينهَلُ منهُ للآخِرَة والأولى..

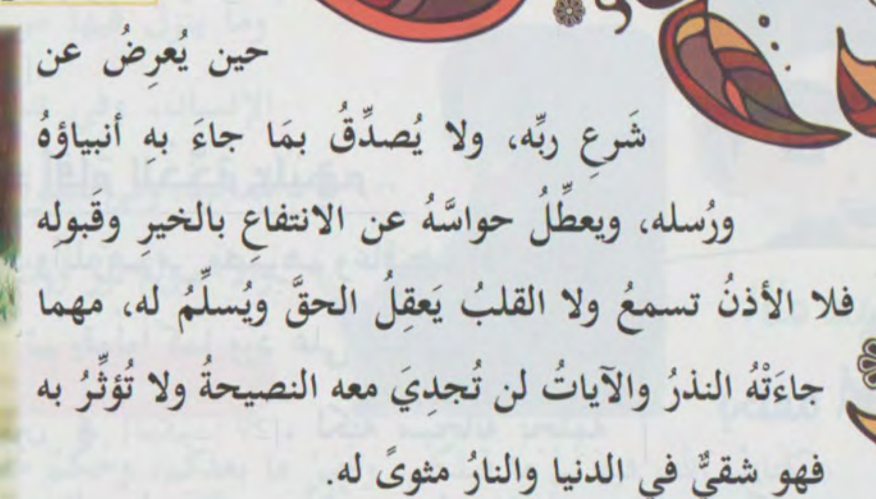
أليسَ ذلِكَ بدليلٍ وافٍ على أنَّهُ كلامُ رب العزَّة..

وأنَّ النبيَّ ﷺ وحيٌّ يُوحَى إليه بأمرِ المَولَى..

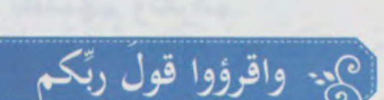
وفي التصديقِ بذلك تجديدٌ للإيمَانِ بالأركانِ المَعروفَة..

بالله ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِه ورُسُلِهِ ويوم لقَائِهِ وما قدَّرَ وقَضَى..

أعلمكُم بأنواعِ ظلمِ الإنسانِ لنفسهِ..



حين يُعرِضُ عن شَرعِ ربِّه، ولا يُصدِّقُ بمَا جاءَ بِهِ أنبياؤهُ ورُسله، ويعطِّلُ حواسَّهُ عن الانتفاعِ بالخيرِ وقبولِه فلا الأذنُ تسمعُ ولا القلبُ يَعقِلُ الحقَّ ويُسلِّمُ له، مهما جاءَتْهُ النذرُ والآياتُ لن تُجدِيَ معه النصيحةُ ولا تُؤثِّرُ به فهو شقيٌّ في الدنيا والنارُ مثوىً له.



﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾

[يونس: 96-97]

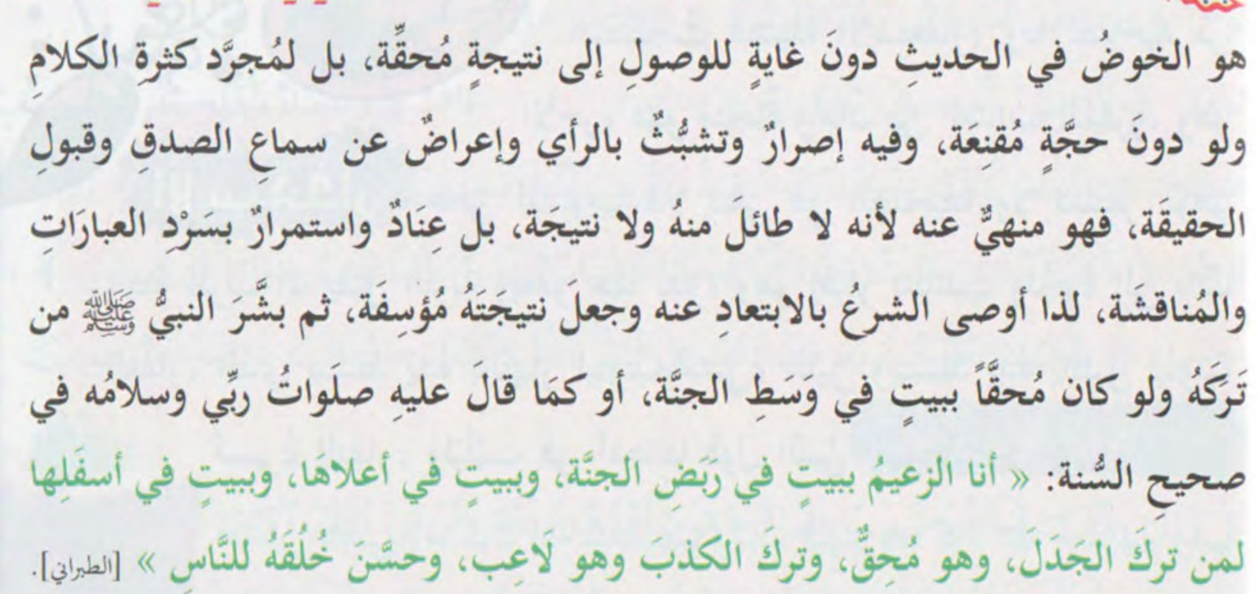
أعلمكُم عن سببِ ضَلالِهِم وشقَائِهِم..



أن خَتَمَ اللهُ على قلُوبِهِم وعلَى سَمعِهِم وعلَى أبصَارِهِم، فتاهَتْ درُوبُهم وضلَّ سعيُهم، والعذابُ العظيمُ مُحيطٌ بهم، ومَا ظَلَمَهُم ربُّهم بل أخَذَهُم بذُنُوبهِم، أو كما قالَ وهو العليمُ الخبيرُ بأحوَالِهم:

﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [المطففين: 14]

لنتعلَّم معاً معنى الجَدَل.. ونتعاهَد على تركِهِ والتزامِ الأفضَل..



هو الخوضُ في الحديثِ دونَ غايةٍ للوصولِ إلى نتيجةٍ مُحقَّة، بل لمُجرَّد كثرةِ الكلامِ ولو دونَ حجَّةٍ مُقنِعَة، وفيه إصرارٌ وتشبُّثٌ بالرأي وإعراضٌ عن سماعِ الصدقِ وقبولِ الحقيقَة، فهو منهيٌّ عنه لأنه لا طائلَ منهُ ولا نتيجَة، بل عِنادٌ واستمرارٌ بسَرْدِ العبارَاتِ والمُناقشَة، لذا أوصى الشرعُ بالابتعادِ عنه وجعلَ نتيجَتَهُ مُؤسِفَة، ثم بشَّرَ النبيُّ ﷺ من تَرَكَهُ ولو كان مُحقّاً ببيتٍ في وَسَطِ الجنَّة، أو كمَا قالَ عليهِ صلَواتُ ربِّي وسلامُه في صحيحِ السُّنة: « أنا الزعيمُ ببيتٍ في رَبَضِ الجنَّة، وببيتٍ في أعلاهَا، وببيتٍ في أسفَلِها لمن تركَ الجَدَلَ، وهو مُحِقٌّ، وتركَ الكذبَ وهو لاَعِب، وحسَّنَ خُلُقَهُ للنَّاسِ » [الطبراني].

أعلمكُم بأنَّ الله تعالى عندهُ عذابٌ في الدنيا وعذابٌ في الآخرة..

فمن قدَّرَ وشاءَ عجَّلَ له في حياتِهِ العقوبَة، وسَارَعَ في حِسَابهِ دونَ إنظارٍ أو مُهلَة، كما حدَثَ في أخبارِ الأُمَمِ السابقة، ومنهُم من يُؤخِّرهم إلى يومِ القيامَة، علَّهُم يتوبوا ويعودُوا إلى دربِ الاستِقَامَة، فإن أصرُّوا وجبَ عليهم سوءُ العَاقِبَة، وإن أقلَعُوا ونَدِمُوا قَبِلَهُم وحشَرَهُم مع أهلِ الجنَّة، فليَختَارُوا لنَفسِهِم بنَفْسِهِم المصيرَ والنتيجَة، وليذكرُوا أنَّ الله غفورٌ ذو الرحمة، ولن يُصيبَهُم ما أصابَ القرونَ الأولى، فلهم الخيريةُ بأمَانَيْنِ الاستغفَار ووجودُ المصطفى، أو كما قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

[الأنفال: 33].



بالعلم نرقى للمعالي:

استَنْتَجْتُ فضيلَة الاستِغفَار، وما لصاحبِهِ من الأجرِ، فهو مَنجَاةٌ وأمانٌ من العذابِ المُقرَّرِ، وهو

الاستغفار

محيٌ للذنوبِ فلا تبقَى في الصحيفَةِ ولا تستَقِر، وهو رجاءٌ للربِّ أن يقبَلَ التوبَةَ ويعفُو عمَّا بَدَر، وهو إقرارٌ بالذنبِ ولُجُوءٌ إلى باب الغفَّارِ، الذي يبسُطُ يَدَهُ بالنَّهارِ ليتوبُ مُسيءُ الليلِ ويبسُطُ يدَهُ بالليلِ ليتُوبَ مُسيءُ النهَار، وليَثْبُتْ في أذهَانِنَا قولَ النبيِّ المُختَار: « أنزلَ اللهُ عليَّ أمَانَيْنِ لأُمَّتِي ومَا كانَ اللهُ ليُعَذِّبَهُم وأنتَ فيهِم وما كانَ اللهُ مُعذِّبَهم وهم يستغفرون؛ فإذَا مَضَيْتُ تَرَكْتُ فيهِم الاستغفَارَ إلَى يَومِ القِيَامَةِ »[الترمذي].

وقفة

في الآياتِ تصبيرٌ لنبيِّ الأمَّة، ألا يحزَنْ من تكذيبِ قَومِهِ فلَهُم أمثالٌ مِن الأُمَمِ السَّابِقَة، وأنَّ اللهَ عَلِمَ مُسبَقَاً أن لن تَنفَعَهُم المَوعِظَة ولن يَسلُكُوا دروبَ الهِدَايَة، فأقامَ عليهِم الحُجَّة، ثمَّ تأتيهِم عاجِلاً أو آجِلاً العقُوبَة كما أخبَر في كتَابِهِ عمَّن كفرَ مِنَ القُرَى:

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [الحج: 42-44].



فانظر كيف كانَ عاقبةُ المُكذّبين..

نوح: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 14].

ثمود: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾ [الحاقة: 5]. عاد: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة: 6].

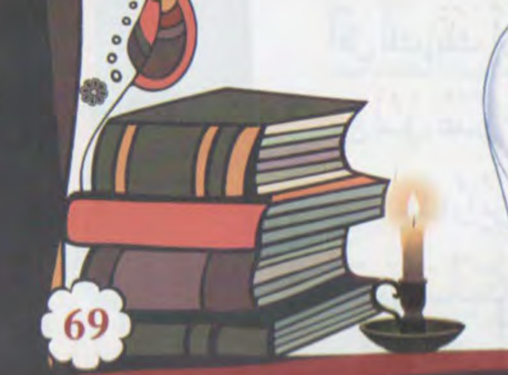
صالح: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النمل: 51].

لوط: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر: 73-74].

موسى: ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [القصص: 40].

واقرؤوا قول ربكم

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 36-40]



ملحوظة

الجامعُ المُشترَكُ بينَهُم أنَّ الله أنذرَهُم وحذَّرهم، وأرسَلَ إليهم مَنْ يُعرِّفُهُم بدينِهم، لكنَّهُم كفرُوا فاستوجَبُوا العقوبَةَ في الدنيا ليكونُوا عبرَةً لمَنْ يأتِي بَعدَهُم، ثمَّ يومَ القيامَةِ يُخزيْهِم ويُعاقِبهُم.

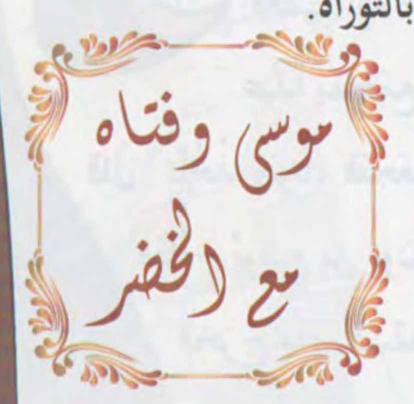
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾
فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ
سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ
أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا
﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ
مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾
وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا
﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا
فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن
تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا
حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ
أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ
مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا
فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى
وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ

فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

المقطع التاسع

أبطالُ القصَّة:

نبيُّ الله موسى عليه السلام: كليمُ الله ومُصطَفاه، صاحبُ النورِ المُبين والهُدى بالتوراة.



فتاهُ: يُوشَع بن نون بن افرائيم بن يُوسف عليه السلام، وكان يتبَعُ سيِّدنا موسى فيخدُمُه ويقضي حوائِجَهُ ويغنَمُ صُحبَتَهُ وينهلُ منه.

الخضر عليه السلام: اسمُه بيل بن ملكان، تعدَّدتْ فيه الأقاويل بين النبوَّةِ والوِلايَةِ، والأكثر أنه أوتِيَ العلمَ والحكمَةَ وفتحَ الله عليه لكنَّهُ لم يُوحَ إليهِ.

كلماتي

﴿مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: مكان التِقائِهِمَا، وقد يكونُ:

مُلتَقى بحرَي فارِس والروم؛ أي المُحيط الهندي والبحر الأحمر عند مَضيقِ باب المندب.

مُلتَقى البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي عند مَضيقِ جبَل طارق.

﴿أَمْضِيَ حُقُبًا﴾: مُدَّةً طويلَةً مِنَ الزمَنِ غير محدودةٍ بوقتٍ مُعيَّن.

﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾: ما لَم تُدرِك حقيقَته، ولم يأتِك العلمُ بدقائِقه وخفايا مَكنُوناتِه.

أعلمكم ما جاءَ في صحيحِ الخبرِ عن قصَّةِ مُوسَى والخَضر..

وهو ليس بنبيٍّ لكنَّهُ ممَّنْ أوتِيَ من الخيرِ الكثيرِ وفضَّلَهُ الله بالعِلْمِ ورَفَعَ قَدرَهُ وخَصَّهُ بجميلِ الذكرِ.

بين يدي القصَّة:

إنَّ مُوسى قامَ خطيباً في بَنِي إسرائيل، فسُئِلَ، أيُّ الناسِ أعلَمُ؟ فقالَ: أنا فعَتِبَ الله عزَّ وجلَّ عليه، إذ لم يردَّ العلمَ إليه، فأوحَى الله إليه أنَّ لي عبداً بمَجمَعِ البحرين، هو أعلَمُ مِنكَ، قالَ مُوسَى: يا ربِّ، فكيفَ لي بهِ؟

قالَ: تأخُذُ حوتاً، فتَجعَلُهُ في مكتَل – قِفَة– فحيْثُمَا فَقَدْتَ الحُوتَ فهوَ هناك، فانطَلَقَ مُوسَى، ومعه فَتَاهُ– يُوشَع بن نون– حتَّى إذا أتَيَا الصخرةَ، وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا، فنَامَا واضطَربَ الحوتُ في المكتلِ فخرَجَ منه، فسقطَ في البحرِ فاتخذَ سبيلَهُ في البحرِ سَرَباً.

وأمسَكَ الله عن الحوتِ جَريَةَ المَاءِ، فصارَ عليهِ مثل الطاقِ، فلمَّا استيقَظَ، نَسِيَ صَاحبه أنْ يُخبِرَهُ بالحوتِ، فانطلقا بقيَّةَ يَومِهِمَا وليلتِهِمَا، حتَّى إذا كانَ مِنَ الغَدِ قالَ مُوسَى لفَتَاهُ:

﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾ – قال: ولَمْ يَجِدْ مُوسَى النصبَ حتَّى جَاوَزَ المَكانَ الذي أمرَهُ الله به– فقالَ فتَاهُ: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾

قالَ: فكانَ للحوتِ سَرَباً، ولمُوسَى وفتاهُ عجباً.

فقالَ مُوسى: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤ ﴾..

قالَ: رَجِعَا يَقُصَّانِ آثارَهُمَا، حتَّى انتهيا إلى الصخرةِ، فإذا هو مُسجَّى بثوبٍ فسلَّمَ عليه مُوسَى، فقالَ الخضرُ: وأنَّى بأرضِكَ السَّلام! مَنْ أنْتَ؟

قالَ: أنا مُوسى، قالَ: مُوسَى بني إسرَائيل؟

قالَ: نعَم أتيْتُكَ لتعلِّمَني ممَّا عُلِّمْتَ رُشداً.. ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ ﴾.

يَا مُوسَى، إنِّي علَى عِلمٍ من عِلْمِ الله، لا تعلَمُهُ، عَلَّمَنِيْه، وأنْتَ على عِلْمٍ مِن عِلْمِ الله عَلَّمَكَهُ، لا أعْلَمُهُ، فقالَ مُوسى: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ ﴾، فقالَ له الخضرُ: ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠ ﴾.

فانطلَقَا يَمشِيَانِ علَى السَّاحلِ، فمَرَّتْ سفينةٌ، فكلَّمُوهُم أنْ يَحمِلُوهُم فعرفوا الخضرَ، فحَمَلُوهُم بغَيْرِ نَوْلٍ- أي أجْرٍ- فلمَّا رَكِبَا السفينةَ لم يفْجَأ إلا والخضر قد قلَعَ لوحاً من ألواحِ السفينةِ بالقدومِ، فقالَ لهُ مُوسَى: قومٌ قد حَمَلُونَا بغيرِ نولٍ، عمَدْتَ إلى سفينَتِهِم فخرَقْتَهَا لِتُغرِقَ أهْلَهَا، ﴿ لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١ ﴾.

وقالَ رسولُ الله ﷺ: وكانَتِ الأولَى مِن مُوسى نِسيَاناً، وجاءَ عصفورٌ، فوقَعَ على حرفِ السفينةِ، فنَقَرَ في البحرِ نَقرَةً، فقال لهُ الخضر: مَا عِلمِي وعِلمكَ مِن عِلْمِ الله تعالى إلا مثلَ ما نَقَصَ هذا العصفورُ مِن هذا البحرِ.





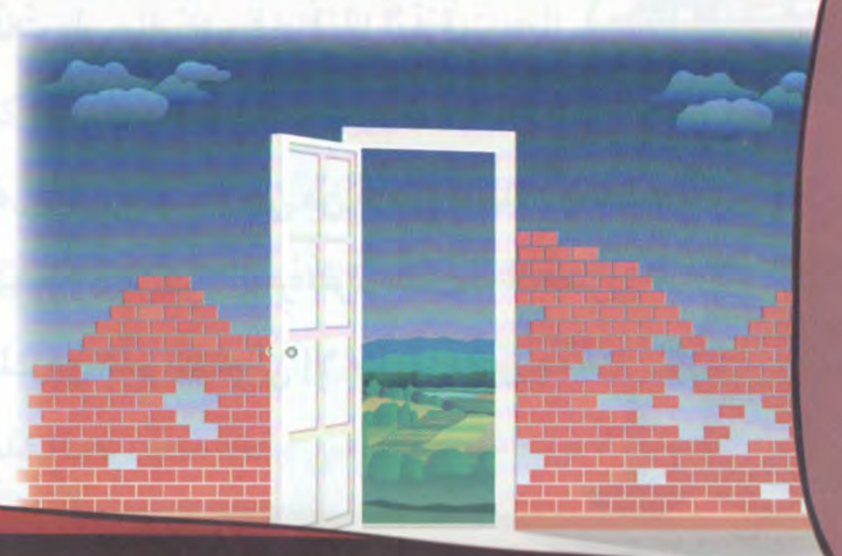
ثم خَرَجَا من السفينةِ، فبينَمَا هما يَمشيَانِ على السَّاحلِ، إذ أبْصَرَ الخضرُ غُلاماً يلعَبُ معَ الغِلمَانِ، فأخذَ الخضرُ رأسَهُ فاقتَلَعَهُ فقَتَلَهُ، فقالَ له موسى: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾.

قالَ: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾؟

قالَ سفيانُ: وهذه أشدُّ مِنَ الأولى.

قالَ: ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾، فقالَ الخضرُ بيدِهِ هكذا– أي أشارَ بيدِه– ﴿ فَأَقَامَهُ ﴾، فقالَ مُوسَى: قومٌ أتيناهُم فلَمْ يُطعِمُونَا، ولَم يُضيفُونا ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾.. قالَ الخضرُ: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾.

قالَ رسولُ الله ﷺ: « يرحَمُ اللهُ موسَى لوَدِدْتُ أنَّهُ كانَ صَبَرَ، حتَّى يَقُصَّ اللهُ علينَا من أخبَارِهِمَا » [البخاري ومسلم].



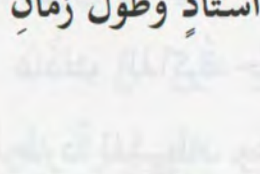
وقفة مَعَ تناسُبِ الآيَاتِ والسور، ففيهَا حكمةٌ ودلالَةٌ وعِبَر...

1. سبَقَ خبرُ قريشٍ وتعَاليهَا على فُقَرَاءِ مكَّة وضُعَفَائِها، فبيَّنَ الله تعالَى لهُم أنَّ عِلمَهُ وفَضلَهُ يَضَعُهُ حيثُ يشاءُ، فقد فضَّلَ به الخضرُ على موسى رغْمَ كَونِهِ من الأنبيَاءِ.
2. أَنِفَتْ صناديدُ قُريشٍ أنْ تُجَالِسَ الفُقراءَ والمساكين، وأن يتبعُوا محمَّداً على فَقرِهِ ويُتمِهِ، مع أنَّهُ الصادقُ الأمين، لكِن موسى كليمُ الله قَبِلَ أن يكونَ تَبعَاً لمَنْ يَتعلَّمُ مِنْهُ، فهلا تواضَعُوا ولم يكونُوا من المُتَعَالِين.
3. مَا الفخرُ إلا لأهلِ العلمِ فَبِهِ الرفعَةُ والمَكانَةُ والمَنزِلةُ، لا بالمالِ والبنين ومتاعِ الدنيا الزائلةِ.

أعلمكُم عن رحلَةِ مُوسىٰ عليه السلام وفتاهُ طلباً للعلم..

وتحمُّلِهما المشقَّةَ والعناءَ لتحصيلِهِ، فهَانَ البَذلُ وذُلِّلتِ المَتاعِبُ والصِّعَابُ لكَسبِهِ ونَيْلِهِ، بدليلِ قولِهِمَا ممَّا حُفِظَ في القرآنِ خَبَرُهُ: ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾..

نصيحَةُ مُحِبٍّ..



أخِي لنْ تَنَالَ العِلمَ إلا بستَّةٍ	سَأُنبِيْكَ عَن تَفصِيْلِهَا ببيَانِ
ذَكَاءٌ وحِرْصٌ واجْتِهَادٌ وبُلْغَةٌ	وصُحْبَةُ أُسْتَاذٍ وطُوْلُ زَمَانِ












ذكرى:

جعَلَ اللهُ تعالى لمعرِفةِ الخضرِ عَلامَةً، وهي عودةُ الحوتِ إلى الحياةِ وهي مُعجزةٌ، فقَدِ اصطَحَبَاهُ معهما مُملَّحاً ليكونَ طعاماً وزاداً، لكن دَبَّتِ الروحُ في أوصَالِهِ بأمْرِ ربِّهِ وشقَّ طريقَهُ في البحرِ كالمَاشِي في نفقٍ أو سِردابٍ سَرَباً، ثمَّ استقرَّ حيث شاءَ اللهُ ينتظرُ أن يبحَثَا عنه ويكون قد أنْجزَ مُهِمَّتَهُ ودَلَّهُمَا على البُغيَةِ المَقصُودَةِ، وفي طلَبِ العِلمِ حياةٌ للعُقُولِ المُغلَقَةِ والقلوبِ المُقفَلَةِ لتشعَّ بنورِ الحِكمَةِ والمَعرِفَةِ، وليسَ بمُستبْعَدٍ أن يكونَ مَع الدليلِ وقفة؛ فقَدِ انقَلَبَتِ العصَا لمُوسَى حيَّة تسعَى، أليسَ في ذلِكَ عبرة لمَن يخشَى.



أعلمكم عن داءِ النسيانِ..

وأنَّهُ غفلَة وتسلُّطٌ للشيطانِ على قَلْبِ الإنسَانِ، فإذا ذَكَرَ اللهَ وصلَّى على الهَادِي العَدنَانِ، واستعاذَ باللهِ من وَسوَسَةِ الإنْسِ والجَان عادَتِ الذاكرةُ حتَّى إلَى مَا مَضَى في غَابِرِ الأزْمَانِ، فكَفَى بالذكرِ طَارِدَاً للشيطانِ وعِلاجَاً لآفَةِ النسيانِ.

اقرؤوا قولَ ربِّكم

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: 201].

بالعلمِ نرقى للمعالي..



الشيطانُ يقعُدُ للإنسانِ بطريقِهِ إلَى كُلِّ خيرٍ..
فلا يُريدُهُ أنْ يتعَلَّمَ ولا يتعَبَّدَ ربَّهُ وينالَ الأجرَ..
فيُشغِلُهُ ويُوسوِسُ لَهُ ويتخِذُ معَهُ كلَّ الحِيَلِ والمَكْرِ..
لكن المُؤمنَ الفَطِنَ يَقِظٌ لا تنطَلِي عليه سُبُلُ الشرِّ..
فيُدرِكُ أنَّ خَلاصَهُ مِن ذلِكَ بلُزُومِهِ شتَّى أنواعِ الذكرِ..



بينَ العَالِمِ والمُتعلِّم:

سعي | أدب تواضع | تلطف | حسن مرافقة

موسى عليه السلام: سعَى لطلبِ العِلمِ، وتَأَدَّبَ وتَوَاضَعَ لِمنْ سيتعلَّمُ منه، وتلطَّفَ في سُؤالِهِ ووَعَدَهُ بحُسْنِ مُرافَقَتِهِ، وذلك قولُهُ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾..

إبلاغ العلم | تبسيط وتوضيح | صبر وحرص

الخضر عليه السلام: التفَانِي في إبلاغِ العِلمِ، ومُحَاوَلَةِ تَبسيطِهِ وتَوضيحِ مَسَائِلِهِ، والصبر على مَنْ يَطلُبُ العِلْمَ عندَهُ والحِرص علَى أن يَكتَسِبَهُ ويُحصِّلَهُ، حتَّى يُدرِكَ مَأربَهُ، وذلِكَ قولُه:
﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾..



علّمني خبرُ موسَى والخَضر



أنْ أسعَى لنيلِ العِلمِ

وأحْرِصَ على اكتِسَابِهِ

وأنَّهُ ليسَ للعِلم حَدٌّ ينتَهي عندَهُ، وأنَّ هناك ظَاهِراً من العِلْمِ وبَاطِناً يحتاجُ إلى سَبْرِ أغوَارِه، والتعمُّقِ فيه لإدْرَاكِ كُنهِهِ ومَقصَدِهِ، وذلِكَ قولُهُ: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾..

بالعِلمِ نرقَى للمعَالِي..

عليَّ في كلِّ شؤوني وأحوَالي أن أستعينَ باللهِ، وأُدرِكَ أنَّ كُلَّ المُجريَاتِ حَولي ستكونُ وِفْقَ أمْرِ وإرَادَةِ اللهِ، فمُوسَى عليه السلامُ قرَنَ صَبرَهُ وتحمُّلَهُ بمَشيئَةِ اللهِ ومُحمَّد ﷺ تأخَّرَ عنهُ الوَحْيُ – عِتَابَاً له وتَعليماً لغَيرِهِ – إذْ لَمْ يَستَثْنِ عندَمَا سُئِلَ عن خَبَرِ الخضرِ ولم يَقُلْ: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، فلَنْ يكونَ شَيءٌ في الكونِ والحيَاةِ إلا أنْ يشَاءَ اللهُ..

إن شاء الله

اقرؤوا قول ربكم

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: 29].

علّمني خبرُ موسى والخَضر (السفينة)

عَجِبَ مُوسَى على الخضرِ أن خَرَقَ السفينةَ وانتزَعَ مِن ألوَاحِهَا، رغمَ أنَّ أهلَهَا كانوا كِرَامًا واصطَحَبُوهُمَا دونَ أجْرٍ إكرَامًا لهما، فهَلِ العَجَبُ ممَّنْ يتنَكَّرُ للمَعروفِ وأهلِهِ، أم ممَّنْ يَحكُمُ علَى الأمْرِ من خِلالِ ظَاهِرِه؟!

بدليل قوله: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾..

ردَّ عليه الخضرُ؛ بأنَّ من وراءِ صنيعِهِ حِكمةً وغايةً، فهو لم يتقصَّدْ إيذاءَ أهلِ السفينةِ، بل إنَّهُ سيرُدُّ لهم معروفَهُم بخدمَةٍ نافِعَةٍ، لِعِلمِهِ المُسبَقِ أنَّ مَلِكًا جبَّارًا يتسلَّطُ على الضُعَفاءِ ويَسلُبُهُم حقوقَهُم، ويختارُ لنَفْسِهِ أجوَدَ سُفُنِهِم ومَرَاكِبِهِم، فلمَّا وجدَ في سَفينَتِهِم خَرقًا ترَكَهَا فعَادَتْ ومَا فيهَا لمُلكِهِم وفَائِدَتِهِم، فهلْ ظَلَمَهُم كمَا بَدَا مِن ظَاهِرِ مَوقِفِهِ معهُم أمْ أحسَنَ إليهِم حتَّى دونَ أن يَمُنَّ عليهِم ويُعلِمَهُم؟

بدليل قوله: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾..

وقــفــة

مَصلَحَةُ الجمَاعَةِ تُقدَّمُ علَى المصلحَةِ الفرديَّة، والمؤمنُ الصَّالِحُ يرعَى أموالَ غيرِهِ ولا يَحرِصُ فَقَطْ علَى مُمتَلَكَاتِهِ الشخصيَّة..

علّمني خبرُ موسى والخَضر (الغلام)

أنكرَ موسَى على الخضرِ أن قَتلَ غُلاماً شاباً دونَ ذَنْبٍ فعَلَه، وكيفَ يُقدِمُ علَى فِعلِ جَريمَةٍ نكرَاءٍ مَنْ يَعتَبِرُهُ مِن ذَوِي القَدرِ والعِلْمِ وأهلِه، وهذا أصعَبُ مِن خَرقِ السفينَةِ فقَدْ لا تَغْرَق ويتأذَّى مَنْ عليهَا، لكن القتلَ فِعلَةٌ مُقصودَةٌ لا بدَّ مِنَ القِصَاصِ فيهَا.. بدليل قوله:

﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾.

رَدَّ عليه الخضرُ؛ بأنَّ من عِلم الله الأزَليِّ عُرِفَ أنَّ هذا الولدَ عاقٌّ لوَالدِيه، وأنَّهُ مهمَا طالَ عمُرُهُ لن يَصلُحَ حالُهُ، فلعلَّهُ إنْ قُتِلَ يَرزُقهُمَا الله خيراً مِنهُ، وأفضَل منه بِرّاً وطاعَةً لمَولاهُ، أو قد يُفتَنُ به وَالِداهُ فيتبَعَاهُ، فيهلَكَان ويشقَيَان بسَببِهِ، وهذه إرادةُ الله لا رَادَّ لقَضَائِه..

بدليل قوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾.

وقفة

التُقَى والصلاحُ ليسَ مسألَةً مورُوثَةً مُتناقلةً بل مُكتَسبَة، فلا يعني إيمانُ الأهل صَلاح أبنائِهما ولا يتعذَّرِ الأولاد بفسَادِ وَالدَيْهِمَا، بل كلُّ نَفْسٍ بمَا كَسَبَتْ رَهينَة..

اسمَعُوا حديثَ نبيِّكُم

« الغُلامُ الذي قَتَلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ كافِراً، ولَو عاشَ لأرهَقَ أبَوَيْهِ طُغياناً وكُفْراً » [مسلم].



عودٌ على بدءٍ..



المالُ والبنون زينَةٌ وفِتنَةٌ، وقد يكونوا على البعضِ بَلاءٌ ونقمَةٌ، فعسَى المالُ أنْ يُطغِي والولَدُ أن يُشقِي، لذا حذَّرَ المَولَى من الاغتِرَارِ بهِمَا، وقالَ مُنبِّهاً عن سوءِ اتباعِهِما: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [التغابن: 14-15]

علَّمَنِي خبَرُ موسَى والخَضر (الجدار)

تعجَّبَ مُوسَى مِنَ الخضرِ كيفَ لا يُعَامِلُ كلاً بمِثلِ عَمَلِهِ، فأهلُ القَريَةِ الذين أبَوا إطعَامَهُ وإكرَامَهُ، بنَى لهُم جداراً أوشَكَ على الانهيَارِ ولم يَطلُب أجرَهُ، فكيفَ يُحسِنُ إلَى مَنْ أسَاءَ إليهِ، ولا يُطَالِبُ حتَّى بحَقِّهِ على حُسنِ صَنيعِهِ رغْمَ حَاجَتِهِ إليْه، بدليلِ قولِهِ: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ ﴾.

ردَّ عليه الخضرُ؛ إنَّ الإنسانَ يعمَلُ الخيرَ دونَ انتظارِ المُقابَلَةِ بالمِثْلِ، وأنَّ الواضِحَ للعَيَانِ أنَّهم مُسيؤونَ بالفِعْلِ، لكنَّ إصلاحَ الجِدَارِ كانَ رعايةً لحَقٍّ مَخفِيٍّ لأيتَامٍ وحِفظَاً للمال، فهوَ لَم يَنَلْ بِذلِكَ شيئاً قريباً مُعجَّلاً لكن العَاقبَةَ في المَآلِ.

بدليلِ قَولِهِ: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾.



وقفة

نَسَبَ العبدُ الصالحُ الخيرَ لله في إرادَةِ الإصلاحِ ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾..

والشرَّ لنَفسِهِ لكن رغبَةً في الأصْلَحِ ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ﴾..

أعلمكُم ألا يستخِفَّ الإنسَانُ بعَمَلِ الخيرِ مهمَا قلَّ منهُ..

ولا يتعجَّل جزاءَهُ وأجْرَهُ، فإنَّ الله ليَحفَظُ بتقوَى الرجلِ وَلَدَهُ ووَلَدَ وَلَدِهِ، بدليلِ قَولِه: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾.

اقرؤوا قول ربكم

﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف: 196].

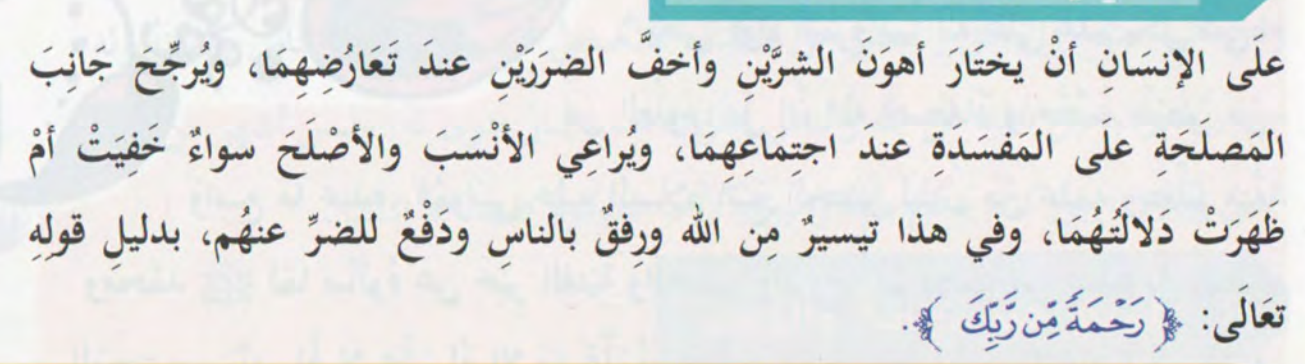
أعلمكُم بالندبِ إلى رعَايَةِ مالِ اليتيمِ والرحمَةِ بضَعفِهِ..

وقصُورِهِ عن رعَايَةِ مصَالِحِهِ، وفُقدانِ مَن يُعيلُهُ ويُصلِح شؤونَهُ، فلا يقهرُه ولا يظلِمُه، ويسعَى جُهدَهُ ليحفَظَ لهُ حقَّهُ، وله أجرُهُ وثوَابُه.

اسمعوا حديثَ نبيِّكُم

« خيرُ بَيتٍ في المسلمينَ؛ بيتٌ فيه يتيمٌ يُحسَنُ إليهِ، وشرُّ بَيتٍ في المُسلمينَ؛ بيتٌ فيه يتيمٌ يُسَاءُ إليهِ » ثم قالَ بإصبعَيهِ: « أنَا وكَافِلُ اليتيمِ في الجنَّةِ هكَذَا » وهو يشيرُ بإصبعَيهِ [ابن ماجه].





علَّمني خبرُ موسَى والخَضر

علَى الإنسَانِ أنْ يختَارَ أهوَنَ الشرَّيْنِ وأخفَّ الضرَرَيْنِ عندَ تعَارُضِهِمَا، ويُرجِّح جَانِبَ المَصلَحَةِ علَى المَفسَدَةِ عندَ اجتمَاعِهِمَا، ويُراعِي الأنسَبَ والأصْلَحَ سواءٌ خَفِيَتْ أمْ ظَهَرَتْ دَلالَتُهُمَا، وفي هذا تيسيرٌ مِن اللهِ ورِفقٌ بالناسِ ودَفْعٌ للضرِّ عنهُم، بدليلِ قولِهِ تعَالَى: ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾.

بالعلمِ نرقَى للمعَالي:

عجباً لأمْرِ المُؤمِنِ إنَّ أمرَهُ كلَّهُ خيراً له..

إن أصَابَهُ سرَّاءٌ شَكَرَ فكانَ خيراً له.. إن أصَابَهُ ضرَّاءٌ صَبَرَ فكانَ خيراً له..

فليَقْنَعْ أنَّ اختيَارَ اللهِ لهُ هو الخيرُ له..فإنْ أعطَاهُ أو مَنَعَهُ فهو أعلَمُ بمَا يَنفَعُهُ..

فإرادَةُ مَولاهُ له خَيْرٌ وإنْ خَفِيَتْ الحِكمَةَ مِنْهُ عَنْهُ.

تأمُّلٌ وعبرَة:

عَفَوْتُ عنكَ أوَّلَ مرَّة إذ قُلْتَ: ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾..

سَامَحْتُكَ في الثانِيَةِ إذ عُدْتَ: ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾..



عَاقَبْتُكَ في الثالثَةِ إذْ كرَّرْتَ: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾.



بالعلمِ نرقى للمَعَالي:

لا يَعني كَوْن المرءِ نبياً أنَّهُ علَى عِلْمٍ بكُلِّ شَيءٍ مِن العلُومِ، بل إنَّ الله اصطفَاهُ واختَصَّهُ بفَيْضٍ مِن وَاسِعِ مَا عِندهِ، فمُوسَى عليه السلام اتبَعَ الخضرَ لينَالَ مِنْ عِلمِهِ ويتعلَّمَ منهُ ومحمَّد ﷺ لمَّا سألوهُ عن خَبَرِ الفِتيَةِ والخَضِر والروحِ؛ لَمْ يُجبْ من عِندِه بل انتَظَرَ الوَحيَ مِن رَبِّهِ، إذْ لا عِلْمَ لهُ إلا مَا عَلَّمَهُ، فطلَبُ النبيِّ للعِلمِ ليس انتقَاصَاً مِن قَدرِهِ بل زيادة في مَعرفَتِه ومَكَانَتِه، فليتضَرَّعِ الإنسَانُ إلَى ربِّهِ أنْ يختَصَّهُ بعِلمِهِ وفَضلِهِ، وأن يُعلِّمَهُ ما يَنفَعُهُ، وأن ينفَعَهُ بمَا يتعَلَّمُهُ، وأن يتقبَّلَ كلَّ ذلِكَ منهُ، فالعَالِمُ بكُلِّ شَيءٍ هوَ الخَالِقُ وَحدَهُ ثم يَهَبُ مَن يَشَاءُ مِن عِلمِهِ ويُعَلِّمُهُ مَا لا يعلَمُهُ، وذلِكَ قولُهُ: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: 76]..

اقرؤوا قول ربِّكم

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: 85]..

أعلمكم عن فضلِ إكرامِ الضيفِ وإحسانِ ضيافتِه..

واجتنَابِ الشُحِّ والبُخْلِ والحذَر من عَاقبَتِه، فالسخيُّ قريبٌ من الله والناس يألَفُونَهُ وله جنَّةُ ربِّهِ، والبخيلُ بعيدٌ عن الله والناس ينفُرُونَ منه والنارُ مثوى لهُ، وليسَ أشهَر من قولِ النبيِّ ﷺ: « مَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليُكرِمْ ضيفَهُ » [مسلم].





ألا أُقَابِلَ السيِّئَةَ بمِثلِهَا، وأن أتعَامَلَ بالتي هيَ أحسَن معَ خلقِ الله كلِّهَا، وأن لا أرُدَّ الإسَاءَةَ إلى أهلهَا، فإنْ صَدَرَتْ منهُم فهُم أهْلٌ للعُقُوبَةِ عليهَا، لكِن إن رَدَدْتُ عليهِم استَحقَقْتُ المَذَمَّةَ والنقيصَةَ وصِرْتُ مِن أصحَابِهَا، فلِي عَمَلِي وصحيفَتِي وأنَا أختَارُ بيَدِي ما أملَؤهُ بهَا.

اقرؤوا قول ربكم

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾

[فصلت:34 - 35].



﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟
عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ
وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا
ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ
إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ
أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل
لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ
بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى
فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ
ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟
أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾
وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا
يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ
أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾

المقطع العاشر

كلماتي

﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: رجلٌ صالحٌ كان في غابِر الأزمان، سمِّي بهذا لأنه طاف قرنَي الدنيا شرقهَا وغربهَا.

﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾: طريقاً يوصِلُه إلى مُرادِه، سخَّرهُ الله وهيَّأهُ له.

﴿نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: نقدِّمُ لك مبلغاً من المال لقاءَ عملِك وجُهدِك وتقديراً لتعبِك وكدِّك.

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: حاجزاً حصيناً أكبر من السدِّ الذي طلبتمُوه، تبرُّعاً بلا مقابلٍ ولا من مَالِكُم الذي عرضتُمُوه.

معلوماتي

أعلمكم عن ذي القرنين..

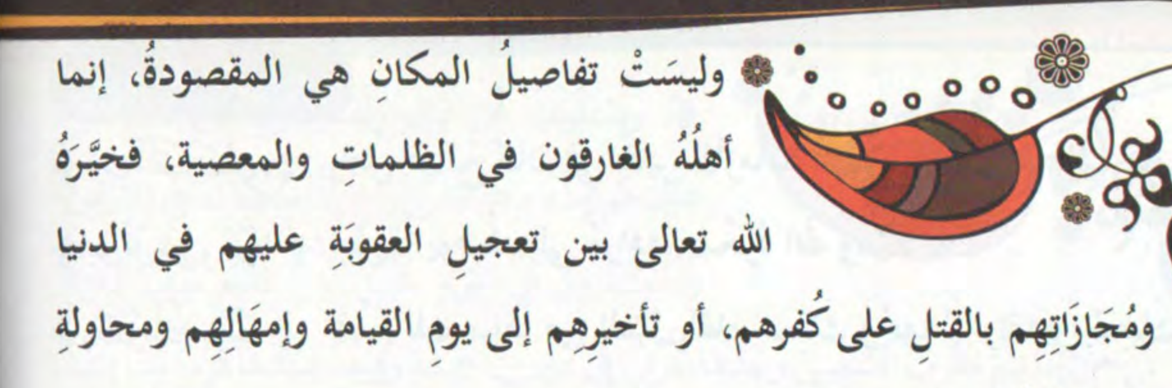
ملوك الدنيا
اثنان مؤمنان
سليمان وذو القرنين
اثنان كافران
نمرود وبختنصر

وهو كمَا أخبرَ عنه وعن مكانَتِه وسيادَتِه إذ قيلَ: ملكَ الدنيا اثنان مؤمنان: سليمان وذو القرنين، واثنانِ كافران: نمرود وبختنصر، وحالُهُ من العجبِ الذي سُئِلَ عنه النبيُّ ﷺ اختباراً لنبوَّتِهِ وعلمه بأحوالِ وأخبارِ من سَبَقَهُ، ومنهم الرحالةُ الطوَّافُ الذي بلغَ عمارةِ الأرضِ من مشرِقه إلى مغربِهِ.

ذكر ذو القرنين في المغرب:

طافَ ذو القرنين بلادَ المغرِب كلها، تونس والجزائر ومراكش وغيرِها، ووصلَ إلى نهاية الأرضِ من جهة المغرب التي ليس بعدَهَا إلا بحر الظلماتِ (المحيط الأطلسي)..

فوجدَ الشمسَ تغربُ في عينٍ ذاتِ حمأةٍ وهو الطينُ الأسودُ، وهذا المشهدُ ليس على الحقيقةِ بل يتراءى عند غيابِ قُرصِ الشمس على ساحلِ المُحيطِ المُختلطِ بالرمالِ والطينةِ السوداءِ..



وليسَتْ تفاصيلُ المكانِ هي المقصودةُ، إنما أهلُهُ الغارقون في الظلماتِ والمعصية، فخيَّرَهُ الله تعالى بين تعجيلِ العقوبَةِ عليهم في الدنيا ومُجَازَاتِهِم بالقتلِ على كُفرهم، أو تأخيرِهم إلى يومِ القيامة وإمهَالِهِم ومحاولةِ نُصحِهِم وهدايَتِهم.

واختارَ ما أخبَرَ به كتابُ العزيزِ الغفَّار: ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾.

عبرةٌ وعظةٌ من القصَّة:

كانتِ الرحلةُ إلى المغربِ دلالةً على وجوبِ الدعوةِ والأمر بالمعروفِ والنهي عن المُنكر، وأنه واجبُ الصالحينَ من العبادِ وليسَ حصراً على الأنبياءِ والرسلِ، وأن هناك أجزيةً دنيوية وأخروية، وأعطياتٍ أو عقوباتٍ معجَّلة ومؤجَّلة، وأن الدينَ يُسرٌ وسُهولَةٌ وهو بحاجةٍ إلى من يُحسِنُ عرضَهُ وتبليغَهُ للناس ليدخلُوا فيه ويكونُوا من أهلِهِ.

اسمعُوا حديثَ نبيكم

عن عبد الله بن عمرو قالَ: نظرَ النبيُّ ﷺ إلى الشمسِ حينَ غربَتْ، فقالَ: « نارُ الله الحامية لولا ما يَزَعُهَا – يكفُّها ويمنَعُها– من أمرِ الله لأحرَقَتْ مَا على الأرضِ » [أحمد].

وأنشدوا فيه شِعراً:

قد كانَ ذو القرنين قَبلي مُسلِماً مَلِكاً تدينُ له الملوكُ وتسجُدُ
بلغَ المَغارِبَ والمَشارِقَ يَبتَغي أسبابَ أمْرٍ من حكيمٍ مُرشِد
فرأى مَغيبَ الشمسِ عندَ غُروبِها في عَينٍ ذي خلبٍ وثأطٍ حَرمَد

وفسَّروهُ بقولِهم: خَلب: طين، ثأط: حمأة، حرمَد: أسوَد..

ذكر ذو القرنين في المَشرِق:

وصلَ ذو القَرنين إلى أقصى الأرضِ من المَشرِق، ووجدَ عندَهَا قوماً لا يُدرِكُونَ شيئاً من الحضارةِ والرقي كسائرِ الخلقِ، يعيشونَ في مَفَازَةٍ لا مَأوى ولا سكَنْ، ولا يسترونَ أجسَامَهُم بلباسٍ ولا يحتَرِزُونَ من أعينِ إنسٍ أو جنٍّ، فأطلَعْنَاهُ على أحوالِهم وأخبَرنَاهُ بمَا يتوجَّبُ عليهِ من تَعليمِهم وإرشَادِهم.

وفيهِم قالَ اللهُ سبحانَهُ في مُحكَمِ تنزيله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٍ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرًا ﴿٩١﴾ ﴾.

عبرةٌ وعظةٌ من القصَّة:

كانتِ الرحلةُ إلى المشرقِ لفتاً للأنظارِ إلى وجودِ الأقوامِ البدائيَّة، التي تفتقرُ إلى إبلاغِ الدين وتعليمِ الرسالةِ الإسلاميَّة، وأنَّهُم كالبهَائم إن لم تتوَّجْ حياتُهُم بالأحكامِ الشرعيَّة، وأن أشعةَ الشمسِ التي تنيرُ حياتَهُم تنقُصُهَا أشعَّةُ العلمِ والمعرفةِ لتسطعَ دروبُهُم ويسيروا على هدى من ربِّهِم.





ذكر ذو القرنين بين السدين:

قصة ذو القرنين

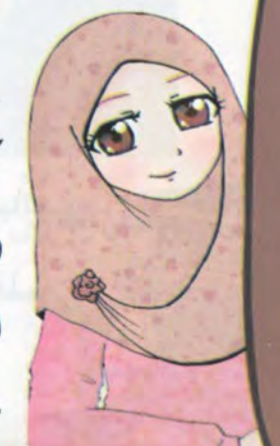
سلكَ ذو القرنين طريقاً بين الجبَلَين (أرمينية وأذربيجان)، فوجدَ أقواماً اعتزَلُوا غيرَهُم فلا يجيدون إلا التكلُّمَ بلُغَتِهِم، ولا يُخَالِطُونَ أحداً من أبناءِ جنسِهِم، لكن الله أطلَعَهُ علَى أخبَارِهِم وأحوَالهم..

استجاروا به من بَطشِ مَنْ يُؤذيهم وطلبُوا منه أن يجعلَ سدَّاً بينَهُم وبين القبائلِ التي تُغيرُ عليهم، وهم يأجوج (التتر) ومأجوج (المغول)، عاثوا في الأرض فساداً وأهلَكُوا الناس ببطشِهم وأذاهُم..

استعانَ ذو القرنين بالله ثم طلَبَ منهُم العدَّةَ من آلاتِهِم وعُمَّالِهِم، ولو قَبِلَ منهُم مالاً لاكتفُوا بجهدِهِ وَحدَهُ وامتَنَعُوا عن تقديمِ مُساعدَتِهِم، لكنَّهُم تعاوَنُوا وألانُوا الحديدَ وصنَعُوا منه حاجزاً منيعاً حَالَ بينَهُم وبينَ وصولِ القبائلِ التي تُغيرُ عليهِم، وسمِّي السدُّ (باب الحديد) على الطريقِ الموصل بين سمرقند والهند وآثارُهُ باقيةٌ تشهد على قصتِهِم.

عبرةٌ وعظةٌ من القصَّة:

كانتِ الرحلةُ بين السدين إشارةً إلى وجوبِ الأخذِ بيدِ الأقوامِ المُستَضعَفين وإنقاذِهم من الجهلِ وتعليمِهم وإرشادِهم، ونُصرتِهم على مَن عاداهُم، وتوجيهِ القوَّةِ الكامِنَةِ في أجسادِهِم لتذليلِ الصعابِ وتليينِ الحديدِ والنحاسِ لصُنعِ حَاجِزٍ منيعٍ يَحميهم.



اسمعُوا حديثَ نبيِّكم

« إنَّ يأجوجَ ومَأجوجَ يَحفِرَان كلَّ يومٍ حتَّى إذا كادُوا يرونَ شُعاعَ الشمسِ قالَ الذي عليهم: ارجعوا فستَحفرونَهُ غداً، فيُعيدُهُ الله أشدَّ ما كانَ، حتَّى إذا بلغَتْ مدَّتهم وأرادَ الله تعالى أن يَبعَثَهُم على الناس؛ حفرُوا حتى إذا كادوا يرونَ شُعاعَ الشمسِ قالَ: ارجعوا فستحفِرُونَهُ غداً إنْ شاء الله تعالى فاستثنوا، فيعودُونَ إليهِ وهو كهيئَتِه حينَ تركوهُ فيَحفرونَهُ، ويخرجونَ على الناس فينشفون الماءَ، ويتحصَّنُ الناسُ منهم في حصونِهم فيرمونَ بسِهَامِهم إلى السماءِ فيرجِعُ عليها الدمُ، فيقولونَ: قهَرنَا أهلَ الأرضِ وعَلَونَا أهل السماءِ، فيبعثُ الله تعالى عليهم نَغَفاً - دود يكونُ في أنوفِ الإبلِ والغنمِ- في أقفائِهِم فيَقتُلُهُم بهَا » [ابن ماجه].

لفتة

الحديدُ والنحاسُ المستخدمان في بناءِ السدِّ من مُرتكزات الصناعة الثقيلةِ، وهما المادةُ الأساسيةُ في الصناعاتِ المتعدِّدةِ السلميَّةِ والحربيَّةِ.

بالعلمِ نرقَى للمعَالي:

على المؤمنِ أن يُسخِّر ما وهبَهُ الله في مَرضَاتِهِ، وأن يُوجِّهَ النعمَ التي أمدَّهُ بها إلى طاعتِهِ، وأن يُديمَها بشُكرِهَا واستعِمَالها فيما يُحبُّه، وأن يُجنِّبَ نفسَهُ ويَقيها من الحرمانِ منها بظُلمِهِ وغفلَتِهِ، وأن لا ينتَظِرَ الأجرَ والمُقابلَ وثناء الناس على فِعلَتِهِ، فالله المُثيبُ المُجازِي على إحسانِهِ لعبادِ الله ممَّن يَعرفُهُ أو لا يَعرفُهُ.



اقرؤوا قولَ ربِّكم

حكايةً عن سليمان عليه السلام حينَ لم يطلُب أجراً ولا مُقابلاً على عمله: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ﴾ [النمل: 36].

أعلمكُم بجدوى الاستعانَةِ باللَّه وإظهارِ الافتِقَارِ إليهِ..

وأنَّهُ مهمَا أُوتِيَ الإنسانُ من قوَّةٍ ومُلكٍ يبقى مُحتاجاً إلى مَعُونَةِ اللهِ لهُ، لذا يتوجَّبُ عليه أن يَقِفَ بين يديه ويُظهِرَ مَنَّهُ وأفضَالَهُ عليه، بدليل قولِهِ: ﴿ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ ﴾.. وبعدَ أن يُوفَّقَ ويُنهِي عمَلَهُ يَذكُرُ فضلَ المَولَى عليهِ كمَا في قولِهِ: ﴿ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ﴾..

هذا من فضل ربي

اقرؤوا قولَ ربِّكم

﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: 40].

أعلمكُم عن كيفيَّةِ بناءِ السدِّ..

بأن يأتي بزُبرِ الحديد أي القطعِ الكبيرةِ منه، ثم يمدُّهُ حتَّى يتساوى بين الجبلينِ العظيمينِ، ثم يُوقِد عليه بمَنَافِخِ النار حتَّى يحمى، ويأتي بالقِطْر أي النحاسُ المُذَاب فيصبُّه فوقَهُ حتَّى يلتَئِمَ ويلتَصِقَ ببَعضِهِ، فلا يستطيعونَ اختِرَاقَهُ لعُمقِهِ وعَرضِهِ وقوَّتِهِ، بدليلِ قولِهِ: ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾..

خروجُ يأجوج ومأجوج عندَ قيامِ الساعة..

أخبرنَا الصادقُ المَصدوقُ أنَّ مِن عَلامَاتِ يومِ القيَامَةِ خروجُ يأجوج ومأجوج، في آخرِ الزمَانِ، حينَهَا يجعلُهُ الله دكًّا مُسوًّى بالأرضِ بإذنِهِ، دلالةً على أشراطِ الساعةِ واقترابِ الحسابِ وحتميَّةِ حدُوثِهِ..

اقرؤوا قولَ ربِّكم

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء: 96].

اسمعُوا حديثَ نبيِّكُم

« لا إلهَ إلا الله، ويلٌ للعرَبِ من شَرٍّ قدِ اقترَبَ، فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يأجوجَ ومَأجوجَ مثلَ هذا وحلق »، قلتُ: يا رسولَ الله، أنَهلِكُ وفينا الصالحونَ؟ قال: « نعَم إذا كَثُرَ الخَبَثُ » [متفق عليه].

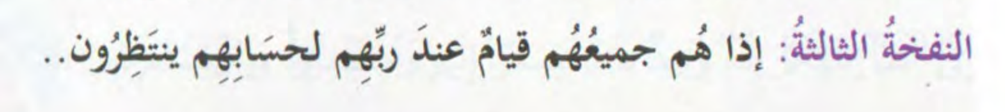
ونُفِخَ فِي الصورِ..

اقرؤوا قولَ ربِّكُم

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ۝٦٨ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴾ [الزمر: 68-70]..

النفخةُ الأولى: يَسمَعُهَا كلُّ مَن في السمواتِ والأرضِ ومنهَا يفزَعُون..

النفخةُ الثانيةُ: يَموتُ كلُّ مَنْ عليهَا فلا يبقى أحدٌ وكلُّهُم يخِرُّون..



النفخةُ الثالثةُ: إذا هُم جميعُهُم قيامٌ عندَ ربِّهِم لحسَابِهِم ينتَظِرُون..



« إنَّ اللهَ لمَّا فَرَغَ مِن خَلْقِ السمواتِ والأرضِ خَلَقَ الصُورَ، فأعطَاهُ إسرَافيلَ، فهوَ وَاضِعُهُ على فِيْهِ شَاخِصٌ بَصَره إلى العرشِ ينتَظِرُ متَى يُؤمَرُ »

قالَ أبو هريرة: يا رسولَ الله، ما الصورُ؟ قال: « قَرْنٌ »، قالَ: وكيفَ هو؟ قال: « قرنٌ عظيمٌ يُنفَخُ فيهِ ثلاثُ نفَخَاتٍ: الأولَى: نفخَةُ الفزَعِ، والثانيةُ: نفخَةُ الصَّعقِ والثالثةُ: نفخَةُ القيامِ لربِّ العالَمين » [إسحاق بن راهويه].



أعلمكم بأنَّ الساعةَ آتيةٌ لا رَيبَ فيها..

وأنَّ الناسَ مَجمُوعونَ إليها، ومُلاقوا جزاءَهم وحسابَهُم بعدَهَا، سواءٌ آمنوا بحدوثِها أم أنكروها، سيُحشَرُونَ إلى ربِّهم ويُحاسَبُونَ على حياتِهم وكيف أمْضُوهَا، بعدَ أن نُفِخَ بالصورِ وأُعلِنَ عَن نهايَتِهَا، ووَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليهَا، فهل بقيَ عندَ أحدٍ من شكٍّ في القيامَةِ وعلامَاتِها ووقُوعِهَا..

اقرؤوا قولَ ربِّكم

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الواقعة: 49-50].

﴿وَبُرِّزَتِ الجحيمُ لمَن يَرَى﴾..

إخبارٌ من المولَى كيف تُسَاقُ جهنَّم إلى أرضِ المحشرِ، ويُبصِرُهَا من كان يُنكِرُ وُجودَهَا، ويصمُّ سمعَهُ عن الإصغاءِ إلى أوصَافِها، ويُعمي بصرهُ عن رؤيةِ الأدلَّةِ الشاهدةِ على حقيقَتِهَا وكُنْهِهَا، رغمَ امتلاكِهِم لحواسِّهم لكنَّهُم تغافَلُوا عن تَوجيهِهَا للحقِّ وعطَّلُوهَا عن وظيفَتِهَا، فالآنَ ليسَ لهم غيرها ومستقرُّهُم ومأواهُم إليها..

اسمعوا حديثَ نبيِّكُم



« ما منكم مِن أحدٍ إلا سيُكَلِّمُهُ الله يومَ القيامَةِ ليسَ بينَهُ وبينَهُ تُرجُمَان فينظُرُ أيمَنَ منه فلا يرى إلا ما قدَّمَ، وينظرُ أشْأَمَ منهُ فلا يرى إلا ما قدَّمَ، وينظرُ بينَ يديهِ فلا يرى إلا النارَ تِلقَاءَ وَجهِهِ فاتَّقُوا النارَ ولو بشِقِّ تمرة، ولو بكَلِمَةٍ طيِّبَةٍ » [أحمد].

﴿أعلمكم بمصيرِ مَنِ اتخذَ مع اللهِ آلهةً أخرى﴾..



وكانَ له معبودات متنوِّعة متفرِّقة، فالنارُ له مأوى، ولن يَجِدَ له نَصيراً ولن يَجِدَ غيرَهَا مَوئلاً ومُستقرّاً، وسينزِلُ ضيفاً عند زبانيةِ العذابِ تُذيقُهُ من ألوانِ العقوباتِ مالا يطيقُ له احتمالاً..

اقرؤوا قول ربكم

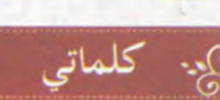
﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [فصلت: 4-6]..



﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾



المقطع الحادي عشر



كلماتي

﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾: ذهبَ أجرُهَا ولم ينالُوا المثوبَةَ عليها رغم تعَبِهِم في أدائِهَا.

﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾: لا يكونُ لهم قَدْرٌ ولا منزلةٌ، أو أن أعمالَهُم الحسنة لقلّتها وخِفَّتِها كأنها لا وجودَ ولا قيمةَ لها.

معلوماتي

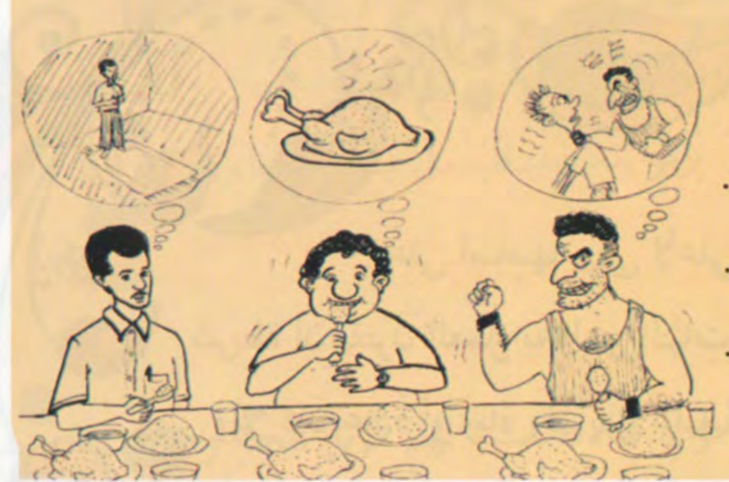
أعلمكُم عن أسوأ الناسِ خسَارَةً لأعمالِهِم وندامةً على سوءِ فِعَالِهم..

إذ أخطؤُوا في حسَابَاتِهِم وظنُّوا أنهم على حقٍّ بجَهلِهِم، فأجهَدُوا أنفُسَهُم في أعمالٍ لن ينالُوا ثوابَهَا ولن تُوضَعَ في صحَائِفِهم، إذ لم تَكُن مُوافقةً للشريعة ولم ينوُوها لوجهِ ربِّهِم، فخابُوا وارتدُّوا صِفرَ اليدينِ بلا أعمالٍ تنفَعُهُم وتُنجيهِم..

اقرؤوا قولَ ربِّكُم

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: 23].

بالعلمِ نرقى للمَعَالي..



إنما الأعمالُ بالنيَّات فلنَتَنبَّهْ إلى حقيقةِ مَدلُولِهَا..

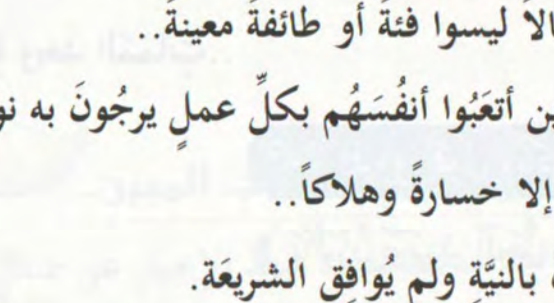
لن يوضَعَ في ميزانِ العبدِ إلا ما كانَ خَالِصَاً لله منها..

وإنْ صاحَبَهَا فسادُ الاعتقادِ رُدَّتْ في وجهِ صَاحِبِهَا..

فالإيمانُ شرطٌ لقبولِ العملِ ثمَّ مُوافقةُ الشريعةِ فيها..

والكفرُ يُحبِطُ كلَّ فِعَالٍ مهما بَذَلَ وجهدَ فَاعِلُهَا...

استَنتِجُوا معي..



الأخسرينَ أعمالاً ليسوا فئةً أو طائفةً معينةً..

بل هم الذين أتعَبُوا أنفُسَهُم بكلِّ عملٍ يرجُونَ به نوالاً..

فلم يجنُوا إلا خسارةً وهلاكاً..

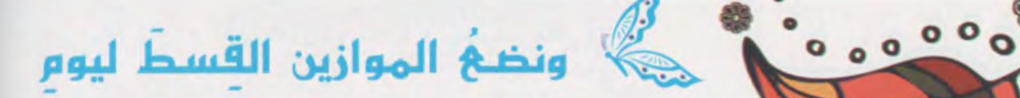
إذ لم يقترنْ بالنيَّةِ ولم يُوافِقِ الشريعَة.

اسمعوا حديثَ نبيِّكُم

« إنَّهُ ليأتي الرجلُ العظيمُ السمينُ يومَ القيامة، لا يَزِنُ عندَ الله جناحَ بَعُوضَةٍ »، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥ ﴾ [متفق عليه].



ونضعُ الموازين القِسطَ ليومِ القيامَةِ..



هو كفَّتَانِ للحسناتِ والسيِّئَات..

على أسَاسِهَا يرقَى لأعلَى الدرجاتِ أو يهوِي في الدرَكَات..

شريطةَ أن يقترِنَ العملُ بخالصِ النيَّاتِ..

وإلا كانَ عادةً أو رياءً ولم يَنَلْ عليهِ أجراً مهما كابَدَ المشقَّات..

أفيعقلُ أن يتعبَ ويعملَ ويكون محروماً من الخيرَاتِ..

وما ذاكَ إلا بضلالهِ وجَهلِه وعدم التزامِ نهج الشريعَةِ والتعليماتِ..

فتاهَ ثمَّ خابَ وخَسِرَ في الحياةِ وبعدَ المَمَاتِ..

اقرؤوا قول ربِّكم

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: 8-9].



﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾

المقطع الثاني عشر

كلماتي

﴿ كَانَتْ لَهُمْ ﴾: فيمَا سبقَ من علمِ الله واطلاعِه على أحوالِ عِبادِه، فيسَّرَ لهم طريقَ الجنةِ وهيَّأ لهم أسبابَهُ.

﴿ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾: لا يطلبونَ تحوُّلاً عنها ولا انتقالاً إلى غيرِها بل يحمَدونَ على نعمةِ دوامِها واستقرَارِها وطولِ بَقائِها.

معلوماتي

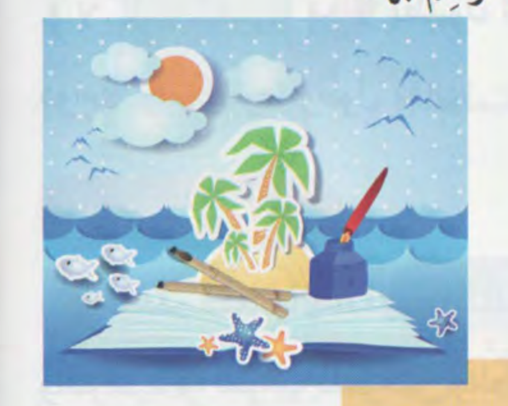
أعلمكم بالأسلوبِ القرآنيِّ في الكتابِ المبين..

واقترانِ ذكرِ الثواب للمؤمنين والعقابِ للعاصين، فبعدَ الإخبار عن ضلالِ الأخسرين، أتبَعَهُ ببيانِ سعَةِ رحمَتِهِ جلَّ جلالُهُ بالإفصاحِ عن عطاءِ الصالحين، وإنَّهُ لتذكِرَةٌ للمُتقين وردٌّ على المُنكرين الجاحدِين..

لمَّا نزلَ قولُهُ تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: 85]، قالَتِ اليهودُ: أوتينَا علماً كثيراً، أوتينا التوراةَ، ومن أُوتِيَ التوراةَ، فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً، فنزلت: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾.

ضُرِبَ مَثَلٌ فاستَمِعُوا له..

كلماتُ الله لا نهايةَ لها، ولا حدودَ لعلمِه ولا إحاطةَ لبشرٍ بها، فمهما أطلعَ عليها خلقَهُ وأبلَغَهُم بها، لن يكونَ لها انقِضَاءٌ وتفنَى آلاتُ الكتابَةِ في تدوينِها، ولو أنَّ بِحارَ الدنيا على سِعَتِها، جُعِلَتْ حِبراً لأشجارٍ لا يُحصَى عددُهَا، وكُتِبَتْ بها كلماتُ الله لما توقَّفَتْ وأنْهَتْ عمَلَهَا، بل تابَعَتْ وأمدَّت بعلومٍ ومعارف ليس إلَّاهُ وحدَهُ يُدرِكُهَا، وهذا دليلٌ على سِعَةِ حِكَمِ الله وأسرَارِهِ فلا تستطيعُ الكتبُ والأقلامُ أن تَضبِطَها وتُلِمَّ بها..





﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: 27].

بالعلمِ نرقَى للمعَالي..

لم تَرِدْ آيةٌ في كتابِ الرحمن اكتَفَتْ بالدعوةِ إلى الإيمان..
بل أُتبِعَتْ كلُّها بذكرِ العملِ الصالحِ ليكونا قرينَان مُتلازِمَان..
فلا ينفعُ قولٌ ولا عملٌ إن لم يُكَلَّلْ بنيَّةِ التوحيدِ والإيمَانِ..
ولا يُقبَلُ إيمانٌ لَم يَصحَبه فِعْلٌ يُترجِمُهُ وأداءٌ بإحسَان...
ثم الفردوسُ مآلُهُ ويرقَى بصلاحِهِ أعالي الجِنَان..

اسمعوا حديثَ نبيكم

« إن في الجنَّةِ مِئَة درجةٍ، كلُّ درجَةٍ منها ما بين السماءِ والأرضِ، والفردوسُ أعلاها درجةً، ومن فوقها يكونُ العَرش، ومنه تفجرُ أنهارُ الجنة الأربعة فإذا سألْتُم الله، فاسألوهُ الفِردَوس » [أحمد].

أعلمكُم عن خلودِ أهلِ الجنَّةِ والنار كلٌّ بما فيه..

فلا مَوت يُنهِيه ولا شيء يُفنِيه، بل مستقرٌ وبقاءٌ بنعيمٍ أو جحيمٍ وِفقَ عمَلِهِ يُلاقيه وما ظَلَمَهُم ربُّهم لكن كلٌّ يَجِدُ عملَهُ حاضِراً وهو مُلاقيه..

اسمعوا حديثَ نبيكم

« يُجاءُ بالموتِ على صورةِ كَبشٍ أملَح، فيُذبَحُ، والفريقان ينظرون، فينادي: يا أهلَ الجنَّةِ خلودٌ فلا موت، و يا أهلَ النار خلودٌ فلا مَوت، فيزدادُ أهلُ الجنة فرحاً إلى فرحهم، وأهلُ النار غمَّاً إلى غمِّهم ثم قرأ ﷺ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ ﴾ [مريم: 39]، وأشارَ بيده إلى الدنيا » [البخاري].



أعلمكم وسبقَ أن أخبَرتُكم عن الشركِ وخُطورَتِهِ..

وأنَّهُ الذنبُ الذي لا يسامحُ اللهُ على فِعلَتِهِ ويغفرُ ما دونه، فالذي يرجو عطاء الله ومثوبَتِه، ويخشى من ناره ويتعوَّذ من عقوبته، فليُخلِص له العملَ ولا يقصِدُ بسَعيهِ إلا وَجهَهُ، وليَستَحْضِر عندَ أداء كلِّ عَمَلٍ يومَ القيامة والعرضَ بين يدي مولاهُ، وأنه سيوضَعُ في ميزانِهِ فيثقلُ أو يخفُّ به، وأنه سينالُ أجرَهُ حين يراهُ مكتوباً في صحيفته فيتلقَّاهُ بيمينه أو بشماله، وأنه سيساقُ تبعاً لنتيجَتِه إلى مستقرِّه ومآله، وأنه ما زالَ في الدنيا فليَختَرْ بنَفْسِهِ لنَفْسِهِ آخرتَهُ..

ولا أُشرِكُ بربيْ أحداً..

وإليكُم خبرُ جُندُب بن زهير العامري، قال: يا رسولَ الله، إني أعمَلُ العملَ لله تعالى، وأريدُ به وجه الله تعالى، إلا أنَّهُ إذا اطلع عليه سرَّني، فقال النبيُّ ﷺ: « إنَّ اللهَ طيِّبٌ، ولا يقبلُ إلا الطيِّب، ولا يقبلُ ما شُورِكَ فيه » فنزلَتِ الآيةُ:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾..

وآخر يقولُ: يا رسولَ الله، إني أَقِفُ أريدُ وجه الله، وأحبُّ أن يُرَى مَوطِني فلم يردَّ عليه شيئاً، حتى نزلَتْ هذه الآية: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾..

أعلمكم أن لا يرقبَ الإنسانُ بعمَلِهِ إلا اطلاعَ اللهِ عليه..

ولا ينتظرْ مَدحاً أو ثناءً من الناسِ عليه، ولا يُحسِّن العمل ويُجوِّده إذا ما أطروا عليه، ولا يكون هناك فارق بين العملِ في الخلوةِ أو أمامَ الخلائقِ ونظرهم عليه، وإلا ذهبَ أجرُه ولم يَنَلْ مثوبةً على عمَلِهِ وانقلَبَ وبالاً عليه..

اسمعوا حديثَ نبيِّكُم فيما يرويهِ عن ربِّه قال: « أنا خيرُ الشركاءِ، فمَنْ عَمِلَ عملاً أشْرَكَ فيه غيرِي، فأنا بريءٌ منهُ، وهو للذي أشرَكَ » [مسلم].

تعقيباتٌ وتأكيداتٌ..

لا بدَّ من مُراقَبَةِ النيَّاتِ وإخلاصِ العمل لربِّ البريَّاتِ دونَ شركٍ أو رياءٍ أو مُحبطَات..

النبيُّ ﷺ بَشَرٌ يتلقَّى الوحيَ من ربِّ السمواتِ ثم يُنذِر ويُبشِّر ويُبلِّغ الرسالات..

القرآنُ كلامُ المولى فيه العِبَر والدلائلُ والأحكامُ والعِظَات فتدبَّرُوا الآيات..

لقاءُ اللهِ حقٌّ ويومَ القيامة آتٍ وقد جاءَ تفصيلُهُ للاستعدادِ له وإن كان من الغيبيات..

العلمُ نورٌ يختصُّ اللهُ به من يشاءُ من عِبَادِه ويتطلَّبُ سعياً في التحصيلِ واكتسابِ الخبراتِ..

الدنيا فانيةٌ زائلةٌ والآخرةُ هي الحياةُ الحقيقيَّةُ والمُستقرُّ فلنُكثِر من الباقياتِ الصَّالحاتِ..

الرحمةُ تكرَّرَتْ في السورة لتعمَّ المسلم من الجمعةِ إلى الجمعةِ فذُكِرَت سبعاً من المرات..

بالحمدِ افتتحَت السورةُ وبه تُختَتَم وتتمُّ الصالحاتُ فلنغنَم ونستَلهِم منها الدلائلَ والعِظَات...





تعلَّموا من سورةِ الكَهف..

الوقايةُ من الفتنةِ، وسُبُل النجاةِ مِن كلِّ أزمَةٍ وشدَّة وطرقُ السلامَةِ وتفريجُ الكُربَةِ..



تعلَّموا من سورةِ الكَهف..

العصمةُ من فِتَنِ يومِ القيامَة، وكيفيَّةُ التعامُلِ مع أشراطِ الساعةِ، فالدجَّالُ ويأجوجُ ومأجوجُ خيرُ أمثِلَة..

تعلَّموا من سورةِ الكَهف..

عدمُ الاغترارِ بالدنيا وزينَتها، وعدمُ الالتفاتِ إلى زُخرُفِهَا ومَتَاعِها واليقينُ من فنائِهَا وزوَالِهَا بدليلِ تقَلُّبِهَا وخِداعِهَا لأهلِها..

تعلَّموا من سورةِ الكَهف..



التنبُّه إلى عدمِ الانشغالِ بجَمع المالِ، وأنَّهُ فَانٍ وحتماً إلى زوَال، وأنه سيُسألُ عنه ويُحاسَبُ عليهِ في المَآل..

تعلَّموا من سورةِ الكَهف..

الأولادُ نعمَةٌ ونقمةٌ، فقد يكونُ صلاحُهُم زاداً إلى الآخرةِ، وقد يُصبِحُ فسَادُهُم حسرةً وندامَةً إذ لم يَقِي الإنسان نفسَهُ وأهلَهُ ناراً وقودُها الناسُ والحجارة..



تعلَّموا من سورةِ الكَهف..

هناك كهوفٌ حسيَّةٌ ومعنويةٌ يلجأُ الناس إليها فِراراً بدينِهم ورجَاءَ الحِمَايَةِ فيمنَحُهُم المَولى التأييدَ ويُنزِل عليهم الرحمَةَ والسكينةَ..

تعلَّموا من سورةِ الكَهف..

العلمُ سبيلٌ للرقيِّ إلى المعَالي، شرطَ أن يصبِرَ على نيلِهِ ويتوَاضَعَ للمُربِّي ولا يفخَرْ بعلمِهِ وشهادَتِهِ ففوقَ كلِّ ذي علمٍ عليمٌ يرتجَى منه زيادةُ العلمِ وبلوغُ السيادةِ والرفعَةِ ودَرج الجنانِ..

تعلَّموا من سورةِ الكَهف..

لكلِّ حالٍ ظاهرٌ وباطنٌ، ووراءَ كلِّ أمرٍ حكمَة قد تخفَى على أي إنسَانٍ، ويدركُ مقصودَهُ بالفتوحِ من المولى على كلِّ ذي لُبٍّ فَطِن..

تعلَّموا من سورةِ الكَهف..

حسنُ اختيارِ الصحبَةِ، وأن تكونَ خالِصَةً لوجْهِ المَولَى، وقرينُ الإيمانِ وحدَهُ يحفَظُ الخِلَّةَ والمودَّة، ويكونُ عوناً في الدنيا وشفيعاً في الآخِرة..

تعلَّموا من سورةِ الكَهف..

شكرُ الإلهِ ربِّ الأرضِ والسموات، على جزيلِ النعمِ ودوامِ الأُعطِيَات، وأن جعَلَنَا من خيرِ أمَّةٍ وخصَّنَا بالهدايةِ المُنزَلَةِ في الآيَات..

تعلَّموا من سورةِ الكَهف..

خطورةُ الشركِ وأضرارُه، وأنَّهُ الذنبُ الذي أبَى اللهُ أن يغفِرَهُ، فهو سُبحانَهُ بفَضلِهِ يغفِرُ مَا دونَهُ، فليقصِدِ المرءُ بكلِّ أعمَالِهِ وجهَ ربِّهِ ولا يُشرِك به أو معَه غيره ولا يقصِد سوَاه..

تعلَّموا من سورةِ الكَهف..

الوقايَةُ مِنَ الفِتَنِ قبلَ الوقوعِ فيها، والتحصُّن بذكرِ اللهِ المُنجِي من شرُورِهَا، والإكثارُ من الباقياتِ الصالحاتِ للسلامَةِ من آثامِهَا فمَنْ لاذَ بها كَفَتْهُ ونالَ مِن خيرَاتِهَا..

تعلَّموا من سورةِ الكَهف..

التوكُّل على المولَى، والاعتمادُ على مشيئَتِه وإرادَتِه في الأمورِ كلِّها، إذ لَم ولَن يكونَ إلا ما قضَى اللهُ وأرادَ في إثبَاتِهَا ونَفيِهَا، ووجوبُ التسليم والرضا لاختيارِهِ في الحياةِ بأسْرِهَا..

تعلَّموا من سورةِ الكَهف..

أنَّ الذي أمَاتَ أهلَ الكهفِ ثم أحيَاهُم بمُعجِزَة، قادرٌ علَى إيقاظِ الناسِ من غفلَتِهِم، وحمَايتِهم بقُدرَتِه وأسبَابِهِ من الوقوعِ في الفِتنَةِ والهَلَكَة..

تعلَّموا من سورةِ الكَهف..

التحصُّنُ بذكرِ الله فهي دواءُ الغَفلَةِ والنسيان، والتوكُّلُ على الله في الأمورِ كلِّها والاستعَانَةُ على قَضَاءِ الحَوَائجِ وإتمَامِها بمَشيئَةِ المَولَى وبالكِتمَان..

تعلَّموا من سورةِ الكَهف..

النجاحُ في الحياةِ يحتاجُ إلى انطِلاقَة، وصبرٍ وتحمُّلٍ ولجوءٍ إلى المَولى فمنهُ التوفيقُ وعليه الهدايَة، ومن ضلَّ وحَادَ عن دَربِهِ فلنْ تَجِدَ له وليَّاً مُرشِداً وخابَ سَعيُهُ وهوَ مِنَ الذينَ يَحسَبُونَ أنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعاً..

معلومة..



استهلَّ القرآنُ بالحمدِ في الفَاتِحَة.. وفي مُنتَصَفِهِ الحمدُ في الكهفِ، وفي خَاتِمَتِهِ دوامُ الفَضلِ والنعمَة والإخلاصُ لله وحدَهُ، فمَن كانَ يرجو لقاءَ ربِّه آمِناً مُطمئِناً؛ فليعبُده وحدَهُ لا يشركْ بِهِ أحداً، وليستَعِدَّ ليومِ جزَائِهِ وحسابِهِ، ويتزوَّد له بالعلمِ والمَعرِفَة وتدبُّرِ السورِ والآياتِ الكَريمة ففيهَا العِصمَةُ والرحمَةُ والفوزُ والنَّجَاةُ لمَنِ اهتَدَى..



الفهرس





أنا سورة الكهف فتعلموا مني العبر



في زحمَة الأقدارِ يأوي المرءُ إلى رُكن الطُمأنينة والسَّكينة، أو يلتَجِئُ إلى كهفِ الآياتِ والمواعظِ الرَّبانيَّة ليَجِدَ الرَّاحَةَ والسَّعادَةَ، فيفِر هارباً من فِتَن الحياة وشهوَتِها، ومن مَالِهَا وزُخرُفِها وزينَتِها، ويلهثُ باحثاً عن أمَانٍ وشفاءٍ لن يكونَ إلا في رحابِ الله مستقرُّها ومستودَعُها، ومن سُوَره الكريمة استنبَاطها واستخراجُها، وعلى الباقياتِ الصَّالحاتِ المُعوَّل في النجاةِ والسَّلامَة وصلاحِ دُنيا النَّاس وأُخرَاها..

ISBN 978-9933-14-772-3
9 789933 147723

دمشق - حلبوني - جانب دار الحكمة - هاتف: 2213691 11 963+ تلفاكس: 2256733 11 963+
القاهرة: جوال: 201122100588+ دمشق: العقيبة: 963112262433+ فاكس: 963112316920+
ص.ب: 31453 - الموقع: www.daralhafez.net - البريد الإلكتروني: daralhafez@hotmail.com